

مجلد لعلي العربي

(دمشق) : ايار سنة ١٩٣٠ م

الموافق ذي الحجة سنة ١٣٤٨ هـ

١١٣

المسكرات ومضارها (١)

للأم كما للأفراد قوام مادي وقواء روحي . فقوام الأم المادي افرادها ، وقوامها الروحي مبادئها العامة التي تؤلف ما بين اولئك الافراد فتجعل منهم جسداً واحداً يتحرك بمحرك واحد . اما نسبة المادة الى الروح في تأليف الامة فهي كنسبة الاحجار الى البناء . فكما ان الاحجار المنفرقة لا تؤلف بنياناً مهما كثر عددها وتماثل شكلها الا اذا تراصت وتلاصقت وشد بعضها بعضاً على شكل هندسي معروف . كذلك الافراد فهم لا يؤلفون أمة مهما كثر عددهم وتشابهت سماتهم وتوحدت اصولهم وثقفت أذهانهم اذا لم يجمعهم جامعة عامة واحدة فيتأثرون بمؤثر واحد . يعيشون لاجله ويموتون في سبيله .

وقد يضعف قوام الأم المادي وبقى قوامها الروحي صحيحاً فتنحفظ بكيانها الاجتماعي كما يحفظ عليل الجسم بحقوقه المدنية اذا لم تنطرق العلة الى ملكاته النفسية . اما اذا فقدت الامة مبادئها العامة فنفتقد ثمة حياتها الاجتماعية وتصبح لا كيان لها في العالم الادبي . فيستولي عليها الصحيح من الام . كما يحجر على مؤوف العقل على الرغم من سلامة سائر اعضائه ، وقوتها ، وجمالها . سنة الله في هذا الكون ولن تجد لسنة الله تبديلاً .

وقد أتى على الامة العربية الى يومنا هذا عوامل مختلفة ، دينية وسياسية وادارية واجتماعية أفقدتها مبادئها العامة ، فأضاعت معها كل ما كان لها من عز وسلطان وكيان

(١) محاضرة الاستاذ الدكتور اسعد بك الحكيم القايت في ردهة المجمع العلمي

في ٢٥ تشرين الاول سنة ١٩٢٩ م .

سياسي واجتماعي ، و بانث على ما هي عليه اليوم ، مما يندى الجبين لذكره ويهلع القلب لذكره . فهي تعيش اليوم حياة فردية طائفية ، أشبه بها بالحجار هيكل عظيم ، قوته زلزال شديد ، فتناثرت على الارض مخنقطة بصلابتها ورونقها . فليت شعري ما يكون امرها غداً . امرها أيها السادة احد شيئين : اما ان بتطرق الفساد الى جوهرها بتأثير العوامل الطبيعية المختلفة ، فتفقد ثمة خصائصها ، فتنتفت ثم تضجحل . واما ان تحفظ شكلها وخواصها الى ان تصادف بداراً عاملة فتعيدها سيرتها الاولى . وبكلمة عامة : الحياة السياسية ممكنة مادام الجوهر الفرد صحيحاً . وقد كان الاعتقاد ايماناً بان لا بد لهذه الامة من نشر بعد هذا الطي المستمر ، وذلك بالنظر لسلامة قوامها المادي أعني افرادها الذين لم يزالوا محافظين بمعامل الوراثة على كثير من خصائصهم القومية ، فهم بمثابة تلك الاحجار الصلدة المهيبة المناثرة من ذلك البنيان المتهدم ، غير ان هذا الايمان القوي قد اخذ يتحول الى رجاء في هذه الآونة الاخيرة ، لما ظهر في البلاد العربية من الامراض الاجتماعية الفتاكة التي تهدد الفرد بحياته لمادية والنفسية ، وترمي الى افساد مبادئه وخصائصه العنصرية وهي الدعامة الوحيدة لوحدة المذشودة ، فيصبح كالغراب غريباً ، ينكره التالد ولا يلحق به الطارف . أمراض اجتماعية تسربت الى هذه البلاد الضعيفة تحت ستار الحضارة والمدنية البراق . وشر الادواء ما كان خفياً ، وشر السموم ما كان شهيماً ، فتهافت عليها الناس تهافت البعوض على النور يحسبون السعادة في نورها ، فتاتيهم حياتهم نيرانها ، واشد هذه الادواء فتكاً في النفوس واعظمها خطراً على الحرث والنسل (الغولية) اي داء المسكرات .

اقول الغولية وهي نسبة الى الغول ، والغول في اللغة السكر ، وفي مصطلح العلم المادة المؤثرة المسكرة الموجودة في المواد السكرية والنشائية المائعة المتخمرة كحمر العنب ونبذ الشعير والأرز والنفاح وغيرها . وقد كان يُظن قبل الاسلام ان الخمر مسكرة بذاتها فلما جاء الاسلام ووصف خمر الجنة . قال في تعريفها : (لافيه اغول ولا هم عنها ينزفون) اي مافيهام مادة مسكرة ينشأ عنها الصداق والسكر يقال لها غول . فأفاد بان الخمر ليست مسكرة ومصدقة بذاتها بل هي مسكرة بمادة خاصة موجودة فيها تدعى الغول ، تحرم لاجلها لانها هي التي تفسد العقل وتسكر .

وبالنظر لجهل الناس علم الكيمياء في ذلك العصر لم ينشئوا الى معنى كلمة الغول العلمي ففسروها بمعناها اللغوي وهو السكر مما أوقعهم في الاختلاف في تخريم النبيذ وعدمه . ولم يتوصل العلم الى معرفة الغول وتجربته عن المواد المخمرة الا بعد ان اكتشف العرب التصعيد والنقطير في القرن الثاني للهجرة فصعدوا الخمر وقطروها واستخرجوا منها الغول ويسمونه روح الخمر والعرق والزئبق الحار . قال داود : العرق هو المأخوذ عن الخمر بالتصعيد والنقطير وقد يؤخذ من الأنبذة . ومن هذا يتبين لنا ان القرآن ذكر الغول بمعناه العلمي قبل ان يتوصل العلم الى اكتشافه وبيان خصائصه . وقد اخذه الفرنج عن العرب ونقلوه الى لغتهم بلفظه العربي ، وبالنظر لعدم وجود الغين في لغتهم استبدلوه بالآش فقالوا بدلاً من الأنبذة الكوهول . ثم لما جاء الأتراك وأرادوا نقل العلوم من اللغات الفرنجية الى لغتهم لم ينشئوا الى ان أصل كلمة الكوهول هي الغول فقلبوها في نقلها الآش حاء فصارت الكحول . وقد شاعت لفظة الكحول على اللسان حتى ظنها الناس فصيحة ، بينما انه لا يوجد لها أصل في اللغة يشير الى مدلولها . وباتت كلمة الغول الفصحى غريبة لعدم تداولها وهي أجدر بالمادة والاستعمال .

فالغول والحالة هذه هو المادة المسكرة الموجودة في الخمر ، والمعروفة باسم الكحول او السبيرتو العامة ، والغولية هي الداء الذي يحصل من إدمان شرب المسكرات اي المشروبات التي فيها غول ، وهي كثيرة في هذا العصر . ونقسم الى قسمين : القسم الاول المشروبات الروحية . والقسم الثاني الخمر والانبذة .

المشروبات الروحية — فالمشروبات الروحية هي الموائع التي تحتوي على اربعين الى ستين في المئة من الغول ، والباقي ماء ، وعلى روائح عطرية مختلفة . وأهم أنواعها العرق . ويستخرج من الخمر مع الأيسون ، وهو مركب من غول وماء وعطر الأيسون . ومنها القونياك ، وهو عرق الخمر الأبيض يحفظ مدة طويلة في براميل من خشب الصفصاف يكتسب منها رائحته ولونه . وقد نسي بالقونياك نسبة الى بلدة قونياك في فرنسا التي يصنع فيها . ومنها الروم (Rhum) وهو عرق نبيذ الكرز البري . ومن المشروبات الروحية الانواع المدعوة (Liqueurs) اي المشروبات الحلوة وهي الاشرية الغولية

المزوجة بالماء والسكر وبعض الارواح العطرية ، واشهرها الاسبنت اي مشروب الافسنتين والبيتر والفرموت والشارتوز وغيرها .

الخمر - اما الخمر فأهمها الخمر ، وهو عصير العنب المخمر ، وهو يحتوي على ثمانية أجزاء الى عشرين جزءاً في المئة من الغول وعلى خمسة وسبعين جزءاً ماءً وعلى مواد زلالية وعفصية وملونة ، وعلى حوامض وعلى أملاح فلوية ترابية وعلى ارواح عطرية . ومنها الانبذة وهي الخمر التي تحصل من عصير غير العنب ، وانواعها كثيرة ، واسماؤها تختلف بحسب المواد التي تتألف منها ، وأشهرها : المزراو البيرا (الجمعة) وهو نبيذ الشعير المعطر بمشيشة الدينار ، وهي تتركب من ثمانين جزءاً من الماء ومن ثلاثة الى ثمانية أجزاء من الغول ، وفيها مواد سكرية وزلالية ودهنية وأملاح فلوية ترابية وحوامض ، ومنها المصع . قال داود وهو نبيذ الفواكه . ومن انواعه : السيدر ، وهو نبيذ التفاح ، والبواره وهو نبيذ الأجاص ، ومنها الرائب وهو نبيذ اللبن وهو شائع الاستعمال في روسيا ويسمى الكوميس . وكية الغول في هذه الاشربة اقل مما هي في الخمر .

هذه هي الاشربة المسكرة المستعملة اليوم في جميع أقطار العالم ، وهي مركبة كما أوضحناه من عنصر أساسي مسكر خاص واحد هو الغول ، او روح الخمر ، وبه سميت هذه الاشربة المشروبات الروحية ، ومن عناصر أخرى مختلفة كالماء والمواد الزلالية والسكرية والعفصية والملونة والحوامض والأملاح والارواح العطرية . وهذه كلها معروفة الخواص وغير مقصودة بالذات . وتوجد في سائر الاشربة كالجلاب وشراب السفرجل والرمان والورد وغيرها بكميات وكيفيات مختلفة .

ومن هذه الخلاصة التحليلية يتبين لنا ان المشروبات الروحية او المسكرة لا تختلف عن سائر الاشربة المنعشة والمرطبة الا من جهة واحدة : هي وجود الغول فيها . فالخمر اذا جردناها من الغول تعود جلاباً لذة للشاربين ، والعرق اذا جردناه من الغول يصبح ماءً معطراً كماء الزهر وماء الورد لا يصدع ولا يسكر . فالغول والحسالة هذه هو العنصر الاساسي المقصود من الاشربة الروحية ، هو الجوهر الفرد الذي تقوم به هذه الاشربة وتعز ، فهو منها بمثابة الروح من الجسد ، وكما ان قيمة الاجسام تقدر بحسب

صفات نفوسها كذلك تقدر منافع الاشربة الروحية ومضارها بحسب خصائص الغولـ
الذي فيها . اعني تأثيراته في كل من اجهزة الجسم البشري واعضائه . ولعمري ان هذا
المطلب وعمر المسلك صعب المثال لما فيه من تضارب عظيم في الآراء واختلاف شديد
في المذاهب . فمن قائل مع ابي نواس :

ومقعد قوم قد مشى من شرابها واعمى سقيناه ثلاثاً فابصرنا
واخرس لم ينطق ثلاثين حجة ادرنا عليه الكأس يوماً فعمرا
او مع ابن صاحب تكريت حيث يقول :

ولورسم الزاقي حروف اسمها على جبين مصاب جن أبرأه الرسم
ولو طرحوا في ظل حائط كرمها طيلاً وقد اشفى لغارقه السقم
ولو انفخوا منها على قبر ميت لعادت اليه الروح وانعش الجسم
ومن مررد قول الصفدي :

دع الخمر فالراحات في ترك راحها وفي كأسها للمرء كسوة عار
فكم البست نفس الفتى بعد نورها مدارع قارفي مدار عقار

ومن الاطباء من جعلها غذاء خيراً من الحنطة والعسل . ومنهم من صيرها تزيافاً
فيه شفاء الروح والجسد . ومنهم من ذهب الى انها تار تحرق الاجسام ولا تبقى على
الارواح . نهلك الحرث ولا تذر النسل . فليت شعري اي هذه الاقوال الصحيح . وايها
اهدى للحق ؟ ومن من هؤلاء الرجال المصيب ، ومن منهم المخطي ؟ كلهم ايها السادة مصيب
على حد قول الشاعر : رأيت بعينها ورأت بعيني .

وذلك لان كلا منهم نظر الى المسكرات بعين عقيدته الموروثة وهواه : (وعين الرضا
عن كل عيب كائلة) . وللعقيدات والعادات تأثير عظيم في تكبيف الافعال العقلية
وتوجيهها ، ولولا ذلك لما تبانت آراء الناس في المذاهب والاحكام والاخلاق ، فكم من
حقيقة علمية كان العالم بامره يعتقد بعكسها ، حتى اذا ظهرت قاومها بالشدة والعنف ،
مدفوعاً بعامل الشعور البهيم الى ان خمدت سورة هذا الشعور الموروث وتغلبت قوة العقل
عليه فأخذ يؤمن بصحتها هازئاً بخطأه الاول وجهله القديم . ونظرة عامة في صفحات التاريخ ،
تاريخ نشوء الافكار وتطورها ، تاريخ الكشف العلمية والدعوات الدينية تكفي لادراك

هذه الحقيقة الناصعة ، وللدلالة على ان صوت المجموع ليس هو على الدوام صوت الحق ، وان الفرد يرى بعين العقل ما لا يراه المجموع بميلة وعاطفته الغريزية وان النور ينبثق من الفرد فيتهدي به الصالحون بادي بدء ، ثم ينتشر الى ان يعم المجموع . هكذا قامت الدعوات الدينية ، وهكذا ظهرت الكشوف العلمية والانقلابات الاجتماعية ، ومن يجهل ما لاقاه دعائها وهم على الحق والعالم على الباطل ، من ضروب الاضطهاد والهوان وانواع القتل والتعذيب ، وما هي الا دورة من دورات الفلك حتى انقلب الليل نهاراً ، وللباطل جولة ثم تتعطل . فاخذ الناس يدخلون في دين الحق افواجاً عالمهم ثم جاهلهم وصحيحهم ثم مريضهم ، مقدسين من كذبوا بالامس يرفعون له التماثيل ، وينعتونه بالنباغة الكبير والعالم الجليل ، هكذا كانت شأن العالم مع الرسل والمصلحين ، وهكذا كان شأنهم مع سقراط وغاليله ، وهكذا شأنهم اليوم مع العلم والعلماء في الحكم على المسكرات .

الف الانسان الخمرة منذ آلاف السنين ، وعافوها بعضهم حتى خاشرت عقله ولبسه وامتزجت بلحمه ودمه ، واصبحت عنصراً ضرورياً من لوازم حياته ، فهي ماؤه وهي غذاؤه وهي راحه وهي ريحانه ، تجارها اروج تجارة وصناعاتها اعظم صناعة ، حتى ان من الامم العظمى من جعلها ثمرة حرثه وزرعه وقد عم الخطب بها حتى بات شربها مظهرآ من مظاهر المدنية والحضارة وجفاؤها ضربآ من ضروب التوحش والغباوة ، وذلك حتى اواخر القرن الماضي واوائل العصر الحاضر حيث اخذ العلم يستقرئ خواص الغول في الجسم البشري ، وما هي الا عشرات من السنين حتى ظهر للعالم بان العالم على باطل في معتقده في منافع الغول وحسناته . فأخذ يدعوهم الى تركه والايمان بمضاره وسبائنه . فليت شعري هل من غرابة اذا انكر الناس - والناس من وصفت - دعوته وسفوها كلمته ، وصاح قوم انا وجدنا آباءنا عليه عاكفين ، وقام باعته وصناعه يغرون الكتبة بالمال ليطفئوا نور العلم باقلامهم يتسود وجوه الصحف وصحائف الكتب باطراء منافع المسكرات ومضار تركها ولا مشجع لهم سوى اعصاب الناس المتسممة ، ولا دليل سوى الهوى ولا عملي سوى قوة الخيال ؟

ما في ذلك لعمر الحق غرابة ، فنتلك نفرة طبيعية لم يخل من مثلها تطور من تطورات العالم الى يومنا هذا . واذا اضعنا الى هذه العوامل النفسية الحسية ، العوامل

الاقتصاد والخصائر العظمى التي تنال بعض الامم من تعطيل صناعة المشروبات الروحية وهي تقدر بالمالاين من الليرات لنجلى لنا خطورة موقف العلم والعلماء اللاعوليين ، وهول جهاد دعاة المسكرات في معترك الدفاع الهائل ، يتجلى لنا كيف يتغلب صوت الحق الضئيلة على جلبة الباطل الهائلة ، يتجلى لنا كيف تذبذب شرارة الحق الضئيلة في ظلمات غابات الباطل المتكاثفة فتضيئها رويداً رويداً الى ان تصبح شعلة متأججة من نور ، دعا العلم العالم في اوائل القرن الحاضر الى الايمان بمضار المسكرات ، فاستشاط العالم غضباً وحنقاً ، وما هي الا سنوات معدودات حتى دخل في دين العلم اصح الناس اجساماً واشدهم بالمحافظة على الحرية الشخصية تمسكاً وايماناً ، فغلبوا حريتهم هذه بايديهم وهي ما عبدوا ، وقضوا على انفسهم بانفسهم وهي ما قدسوا ، ولا غرابة فقد سبق القول بان الحق يهتدي اليه العالم فالجاهل ، والصحيح فالمرضى .

ومن العجب العجيب ان تقوم الحرب خروصاً في اوربا واميركا ، في بلاد المشروبات الروحية ومواطنها للقضاء على الغول وطرده وتطهير النفوس والاجسام من شروره ، فتفتح البلاد العربية لهذا الطريد المعقوت ابوابها كأنها استطابت هلاك الجسم فهي تريد ان تضيف اليه فساد النفس ، والنفس هي الاسم الباقي من ذلك الرسم العظيم الفاني .
فيا ابتها النفس الثملة ارجعي الى عقلك راضية نادمة ، واعلمي ان هذا الضيف الجديد اشد خطراً عليك من سائر العناصر الغربية التي تعيش في ارضك ، والجراثيم القتالة التي نفتك في جسمك ، وذلك لان الارض مشاع والجسم موقوف ، واذا اردت شاهداً على صدق هذا القول ، فاستنظقي العلم ، والعلم هو الحق فهو يشهد ويقول .

« كلمة العلوم الطبيعية والطبية الاخيرة في الغول »

صفاته — . الغول جسم مائم لا لون له ذو رائحة خاصة وطعم حار محرق قابل للاشتعال ، يستخرج من الموائع السكرية والنشائية المختمرة كعصير العنب والنفاسح والكثيري والشمندر وقصب السكر والتمر وغيرها ، وكندقوع الشعير والخنطة والذرة والارز والبطاطا وغيرها . فان النشا يتحول فيها الى سكر ، وعندما يتم فعل التخمر في هذه الموائع تتحول الى محاليل غولية يخلف مقدار الغول فيها بين ستة الى عشرة في

المائة . ويستخرج هذا الغول منها بالقطير بادوات خاصة منها الانبيق المعروف . وتختلف اسماءه قبل نقاونه حسب مصدره . فالمستخرج من خمر العنب يسمى عرقياً والمستخرج من قصب السكر يسمى روما وهلم جرا . وللغول منافع عظيمة في عالم الصناعة فهو من اهم المخروقات ذات الحرارة الشديدة وهو يذيب كثيراً من الارواح والعناصر الدهنية ويستعمل لاستحضار كثير من المواع العطرة كالقلاونيا وغير ذلك .

« استعماله في الطب »

اما استعماله في الطب كعلاج فيرجع تاريخه الى عام ١٨٦٠ ، واول من استعمله في ذلك التاريخ الطبيب روبرت تود في شرابه المسمى باسمه . فعالج به ذات الرئة ، وقد شاع استعماله منذ ذلك العهد في جل الامراض ، ولا سيما الحميات العنفيه ، ووقع الافراط في وصفه شأن كل علاج جديد حتى ان من الاطباء من كان يصفه بمقادير عظيمة تجعل المريض في حال السكر الشديد . غير ان التجارب والملاحظات لم تثبت ان أظهرت مضار الغول للعيان ، فخدمت هذه السورة العمياء واخذ الاطباء يقللون من وصف الغول في معالجتهم ، ويحدون استعماله ومن العلماء اليوم من يحرم استعماله بتاتا .

تأثيره الفسيولوجي . — اما درس تأثير الغول الفسيولوجي فيرد تاريخه الى أواخر القرن التاسع عشر . وقد تخلل هذا الدرس صعوبات حمة ، منها ما هو ناشئ عن المنعقدات والآراء الخارجة عن العلم ، ومنها ما هو حاصل من اختلاف طرق التجارب العلمية وتعدد أنواع الاثربة الروحية ونوع تراكيها . وما يجب ملاحظته واعتباره في درس تأثير الغول الفسيولوجي . مدة استعماله ، والسن ، والجفس ، والبنية ، والوراثة ، وصحة الجسم ، وحالة الكبد ، والكليتين ، والجهاز العصبي . وذلك لان اكل من هذه العوامل تأثيراً خاصاً في تكيف فعل الغول في الجسم البشري .

وقد تبين من التجارب التي قام بها الاستاذ بوشه (Pouchet) ان الكمية اللازمة لقتل الانسان الكمل المعتدل الجسم الذي لم يألف شرب الغول البتة ، هي ستة غرامات غولا اكل كيلوغرام من وزنه ، فالرجل الذي وزنه خمسة وستون كيلو غراماً يقتل اذا

شرب ٣٩٠ ثلاثمائة وتسعين غراماً من الغول الصرف اي تسعمائة غرام من العرقى او القونياق . وقد شاهد طفلاً عمره ستة أشهر أعطي شراباً فيه ملاعق قهوة من القونياق فمات في تسع ساعات . و يختلف تأثير الغول حسب ما يكون صرفاً او ممزوجاً ونسبة تمدد هذا المزج .

هل الغول غذاء — ومن أهم المسائل التي تنازعت فيها آراء علماء الفسيولوجيا زمناً طويلاً مصير الغول في الجسم البشري . وهل هو غذاء كاللبن والسكر . فمن الاطباء من كان يقول بان الغول يحترق في الجسم كسائر الاغذية . ومنهم من قال بانه يجناز الجسم اجتنيازاً دون ان يغول فيه تحولاً يستحق الذكر ومن دعاة الفريق الاول ليبيج (Liebig) فهو يقول بان الغول يقوم في الغذاء مقام المواد السكرية والنشئية . وهو يفضلها ويفضل المواد الزلالية ايضاً كاللحم والبيض لان الغرام منه ينشر سبع سعرات (والسعرة هي الكالوري) بينما الغرام من اللحم والسكر لا ينشر سوى ثلاث سعرات ونصف الى اربع سعرات . وقد ظل هذا الخلاف قائماً ما بين الاطباء الى ان قام شوفو (Chauveau) عام ١٩٠١ بسلسلة تجارب على الحيوانات درس فيها قيمة الغول الغذائية بالنسبة الى المواد السكرية . وقد أسفرت هذه التجارب عن النتيجة الآتية : ان ابدال قسم من السكر بقسم يعادله من الغول في قوام غذاء الرجل الذي يشتغل يحدث نقصاً في قيمة العمل العضلي المطلق .

وفي سنة ١٩٠٢ قام انواتر وبنديك في اميركا بتجاربهما المشهورة ، وهي التي تقوم عليها أفكار العلم الخاضرة . وخلاصتها : « ان الغول يحترق في الجسم ، عدا قسم صغير يفرز بواسطة الكليتين والجلد والرئتين » . وبما ان قيمة الاغذية كانت تقدر في ذلك العهد ، اي قبل الحرب العامة بمقدار السعرات ، اي الحرارة التي تصدرها . استغاد باعة الغول وتجاره من نتائج تجارب انواتر وبنديك ، فاستثمروها لمصحتهم واخذوا يطرون منافع الغول الغذائية بالمشروبات والصحف اليومية ، تحت عنوان : (الغول غذاء) ولكن لم تلبث هذه النظرية طويلاً حتى بدا خطأها . فقد برهن روبنير (Rubner) على ان الحرارة التي يحدتها الغذاء هي عرض ، وليست هي الغاية . وان نظرية تنظيم الاغذية

بحسب مقدار الحرارة التي تحدثها فاسدة ، وإن قيمة الغذاء تقدر بحسب ما يستفاد من قدرته في حصول الافعال الحيوية ضمن شرائط التغذية والحرارة الطبيعية ، ولو لم يكن الامر كذلك لساخ انسا ان نستعمل بدل غول الخمر غول البطاطا مثلاً الذي يستعمل للشغل لانه يحدث حرارة اكثر منه . هذا وقد صرح انواثر بنفسه وكلمته هي كلمة سائر علماء الفسيولوجيا اليوم ، بانه اذا كان الغول بعد غذاء فهو غذاء سيئ ، غذاء مكروه ، لانه يخرب الجسم اثناء اشتعاله فيه . هذه آخر كلمة علم الفسيولوجيا في أم خاصة كان يتمتع بها الغول حتى اواخر الحرب العامة . ولننظر الآن - في تأثيره في أجهزة الجسم البشري كل منها على حدة .

تأثير الغول في الجهاز الهضمي - عندما يشرب المرء جرعة خفيفة من الغول يشعر في ناحية معدته بحرارة لطيفة ، اما اذا كانت الجرعة كبيرة فان هذا الحس يكون سيئاً ، واذا تجرع الانسان الصحيح مقدار خمسة غرامات اي درهما ونصف درهم من الغول الممدد بالماء بنسبة ثلثيه فان هذه الكمية تحدث زيادة في الافرازات المعدية الهاضمة . اما اذا أدمن الانسان الشرب ، فان كمية الافرازات المعدية تنقص و يقل فيها فعل الهضم وتصلب أنسجة المعدة وتتشأ عنها الالتهابات وسوء الهضم المزمن والتي الذي يشاهد غالباً عند السكيرين .

تأثيره في الدم - عندما تمتص المعدة الغول يدخل الدم فيجف ماءه ويخرب من كرياتة الحمراء ويزيد في عدد كرياتة البيضاء ويتحد مع اوكسيجين الدم ليتحول الى حامض خلي و خلايا الصودا فتتقصر قلوية الدم وتوقف المبادلات الحيوية .

تأثيره في الجهاز الدوري - ان الجرعات المتوسطة من الغول تحدث باديء بدء زيادة في عدد ضربات القلبية لا تلبث ان يعقبها تناقص . ويزداد الضغط الدموي في باديء الامر ثم يخف . اما اذا كانت الجرعات كبيرة ، فان فعل الغول الفالج يظهر حينئذ جلياً وتتناقص سمة ضربات القلب ويخف الضغط الدموي ويقع عدم الانقظام في الحركة القلبية . ويحدث إدمان الغول تصلباً في الشرايين الشعرية وفي الادرية

ولاسيما أوردة الاطراف السفلية ، وعصبدة في أوعية الدماغ تنشأ عنها جميعاً امراض القلب واوجاع الساقين والفالج .

تأثيره في الجهاز التنفسي — ان الجرعة الخفيفة من الغول تزيد في سرعة التنفس وسعته ، وكية امتصاص الاوكسيجين ، وتبذل حامض الفحم ، ويعقب هذا التزايد نقص في هذه الافعال ولا سيما اذا كررت الجرعات فيحصل بطأ في التنفس وبصير سطحياً ونقص المبادلات التنفسية فتتعرض الرئة للالتهابات كذات القصبات المزمنة وذات الرئة والغرغرينا والسل الرئوي . اما تأثير الغول في العنخورة فانه يحدث فيها التهاباً مزمناً يولد خشونة في الصوت يعرف مدمنو السكر منها لاول وهلة .

تأثيره في الحرارة والمبادلات — يعتقد كثير من الناس ان الغول يزيد في حرارة الجسم ، فهذا الاعتقاد باطل مخالف للحقيقة ، فان الجرعة الخفيفة من الغول لا تحدث تبدلاً في حرارة الجسم . اما الجرعات الكبيرة فقد سبق لنا القول بانها تحدث بطأ في ضربات القلب ، وهبوطاً في ضغط الدم ، وتوقفاً في المبادلات الدموية . فينتج عن ذلك هبوط في حرارة الجسم . قال الاستاذ بوشه : « تهبط الحرارة المركزة عند الثملين الى درجة ٣٠ او ٣٦ وهو هبوط عظيم » . ولهذا يحظر الطب استعمال المشروبات الغولية في الاسفار الباردة لان الحرارة التي يشعر بها الشارب هي حرارة وهمية ، وضحايا القولياقي في الاسفار الباردة عظيمة ومشهورة .

تأثيره في اعضاء التناسل — قال لانسرو (Lancereaux) ان ادمان الغول يحدث ضمور المبيض عند المرأة . وقال برنوله (Bertholet) شاهدة انشاء تشيريج جثث مدمني السكر ضموراً وتصلباً في الخصى ولم أشاهد الحيوانات المنوية في ست وثمانين من المئة من الحوادث التي شرحتها ، وهذا يوضح لنا اسباب العقم والعنة المشهودين عند كثير من مدمني الغول .

تأثيره في الكبد — ان التسمم المزمن بالغول يحدث تخریباً عظيماً في خلايا الكبد والفسج الخلالي ، وينشأ عن هذا التخریب امراض كثيرة ، منها اليرقان الخفيف ومنها تورم الكبد وتشحمه وتضخمه وضموره وتشحمه والاستسقاء وتزيف الدم المعوي والبواسير .

افراز الغول — ان التجارب التي قام بها نيكلو (Nicloux) واقرها مجمع العلوم اثبتت ان الغول يفرز بواسطة البلغم واللغاب وعصارة (البنكرآس) والصفراء ومائع النخاع الشوكي والمني واللبن عند الموضع والمبعض والبروستات والمثانة ، فان الرجل الذي يلامس امرأته في حال السكر يفرز حويصلات منوية ثملة يأتي ولده من تأثيرها معرضاً لداء الصرع واللازمات الدماغية . وان المرأة التي تخرج قبل الولادة بساعة مقداراً من القونياق يشاهد الغول في دم الجنين بعد الولادة ، وان المرأة التي ترضع ولدها وهي سكرى ، تسكره وتعرضه لامراض عصبية وخيمة . وقد اهتمت الامم المتقدمة اهتماماً عظيماً لهذه النتائج العلمية لما لها من العلاقة الكبرى في تربية الاطفال واصلاح النسل .

تأثير الغول في الجهاز العصبي — ان للغول ولوعاً خاصاً بالاعصاب فهو يؤثر فيها مباشرة فينبهها باديء بدء ثم يحدث فيها خدرآ فاسترخاء فالفالج حسب قلة الكمية المأخوذة وكثرتها . وقد تبين من التجارب التي قام بها اخيراً هان ماير : ان للغول تأثيراً كجواوياً في الاعصاب ، فهو يذيب شعومها ويحدث انقباضاً في زوائد العصبيات فيضعف فعلها ثم يبطئها ، فالغول والحالة هذه مخدر غير منبه كما يظن ، وما النشاط الموقوت الذي يشعر به التمل باديء بدء الافعل منعكس عن اعضاء الحس ولاسيما الذوق ، وقد اظهرت التجارب العلمية ان الكمية المتوسطة من الغول التي لا تتجاوز العشرة دراهم تساعد برهة قليلة على زيادة العمل ولكن هذه الزيادة لا تلبث اكثر من عشرين دقيقة حتى لتلاشي ويعقبها نقص في القوة العضلية ، وقد ابدت تجارب اندية الرياضة البدنية ومشاهداتها هذه الحقيقة العلمية . والغول مبطل للحس خلافاً لما يدعيه شاربوه من ان احساسهم يزداد بشربه ، اما سبب ادعائهم هذا فنشئ عن نقص شعورهم بفعل الغول المخدر ، فالتمل لا يحس بالالم ، وقد استخدم الجراحون هذه الخاصة قديماً لتخدير المرضى لاجراء العمليات الجراحية الكبيرة .

اما الحالات المرضية التي تنشأ عن هذه التأثيرات فاهمها : الرعشة والالام العصبية وذات الاعصاب المتجمعة ووهن الاعصاب والفالج . واذا استطلعنا احوال عشرة اشخاص من معافري المشروبات الروحية نجد ان الثمانية منهم يشكون وهناً في عضلاتهم وهبوطاً في

قوام الجسمية والعقلية وثقلاً في رؤوسهم وتغيراً في طباعهم ، اهمه الحدة وسرعة الضجر ، واذا قلت لم ان هذه الاعراض ناشئة عن شرب المسكر يجيبونك سلباً بان هذه الاحوال تزول بقاءً بشرب الغول ، وما ذلك الا لان الغول مبطل للحس ، وهل من شعور لمن بطل حسه .

قال لغران (Legrain) في كتاب التسمات من مجموعة الامراض الباطنة والمداواة المطبوع سنة ١٩٢٣ « ان اصغر كمية من الغول تحدث اضطراباً في الافعال الدماغية الطبيعية ، واذا كان هذا الاضطراب لا يقع تحت ادراك حواسنا لدقته فهو يبدو لنا جلياً عندما تزداد كمية الغول ، ويؤول غواة الغول هذه الاختلالات الدماغية تأويلاً مخالفاً للحقائق العلمية مستندين الى الحس الذاتي المتسم وهل ليرض من شهادة تقبل مغضين الطرف عن تجارب العلم ومشاهداته ، واهم هذه الدعايات المخالفة للعلم هي ان الغول منبه ومنشط ، على حين اثبتت التجارب انه مخدر ومنوم . اما النشاط الذي يشعر به السكيريون فما هو الا اشارة الى اختلال الموازنة في الملكات النفسية العصبية ، فهو خطأ حسي متولد من تخدير قوة المراقبة النفسية » ومن التوادرات التي تروى عن ابي نواس وهي تدل دلالة واضحة على نقص ملكة الشعور الباطن وشلبها اثناء السكر ما روي من انه شوهد يوماً يضحك من رجل سكران اتيه في الطريق ويسخر به ، فقيل له لم تهنأ به وانت في كل يوم مثله : فاجاب اني والله لم اشاهد في حياتي سكراناً قبله ، وذلك اني اول من يسكر وآخر من يصح .

تأثيره في الاخلاق — اما السكر المزمن فانه يقود حتماً الى فساد الطباع والفرائض وضعف الفاعلية وفساد الانفعالية ، فيعتري المرء الضجر والملل ويصبح شرس الخلق ، لا ثبات له على العمل المنتج ، ويفقد الشعور العيالي فلا يهتم بواجباته الزوجية ويهمل مصالح بنيته ، ويختصر همه في الحصول على ما يتطلبه من الغول بدافع الاحتياج الجسدي ، وكثيراً ما يقوده هذا الاحتياج الى بذل ماء وجهه ومعاشرة الادنياء والسفهاء ، وفقد الغيرة على العرض وارتكاب الجرائم البذيئة الدنيا ، ثم تضعف ملكاته العقلية رويداً رويداً ، وتمتريه الهذيان العارضة والالهام ، والصرع والعنة الى غير ذلك من انواع الجنون ،

ونظرة خفيفة في احصاءات مستشفيات الامراض الباطنة ودور المجانين واحصاءات السجون والمحاكم ، وجولة خفيفة ما بين جدران هذه المصانع العامة تكفي لتأيد هذه الحقائق العلمية الرائعة . فان القسم الاوفر من الجناة والمجانين والمرضى بالآفات العصبية والقلبية والاستسقاء هم ضحايا الغول ، ضحايا المشروبات الروحية ، قال غلادستون : وحسي يقول هذا السياسي الانكليزي الشهير حجة على صحة ما قدمت « ان مضار الغول تربو كثيراً على مضار الطاعون والحرب معاً » . « ولا غرو فقد قال لگران (Legrain) فاننا اذا جمعنا ما تنفقه الامة الواحدة من الاموال لشراء المواد الاولى الخاصة بصنع الغول كالغيب والحبوب والثمار السكرية وما تنكبه من النفقات على دور المجانين وعلى حياة النفوس التي نقصفها المنون قبل ابتاعها ، وعلى العاهات الوراثية ، وعلى المتشردين وعلى الجناة ، الذين كان الغول علة آثامهم وآلامهم ، نجد امامنا مجموعاً يربو على المليار من الفرنكات ، نقف امامه نفقات الحرب العالمية الكبرى وضحاياها صغيرة حقيرة ضئيلة ، مما أهاب بالحكومات والعلماء ، والقسم المتعلم من الامم ، ودفعهم الى أن ينادوا بملأ أفواههم العدو الداخلي هو الغول . »

تلك كلمتي ايها السادة في تأثير الغول في جسم الفرد . اما مضاره في نفسيته وفي الامرة وفي الامة فهي ادهى وانكى .

(للبحث صلة)

المتنبي

- ١ -

اول عهدي به - درستنا في الماضي والحاضر
كتب التراجم

أرجع بالخاطر الى الماضي ، وبين هذا الماضي سبع عشرة سنة ، وما هي هذه
البرهة قياساً بالزمان الذي لا نهتدي الى اوائله ، ولا ننصل باواخره ، ما هو العمر كله
سواء اطال هذا العمر أم قصر ، وسواء اشتهت جنباؤه أ. عبست ، ما هو عمر الانسان
الى جنب أعمار العوالم في الطبيعة ، والى جنب أعمار طبقات الارض . ما لنا ولهذا
التعجب فاننا اذا أمعنا في اشياء هذه المسائل غرقنا في خضم الزمان ، وتبين لنا اننا لم نك
شيئاً في العالم ، أرجع بالخاطر الى الماضي ، وقد كان الشباب مثيد الغصن ، أملد العود ،
وكانت الهال هادئاً والفكر ساكناً لم يشغله شيء من شواغل الحياة وما أكثر شواغلها
اللهم الا انصرافه الى الادب وتمتع به بآثاره الخالدة ولكن هل كنا نفهم هذه الآثار ؟
هل كانوا يفهمونها ايها ؟ هل كان يحسن فهمنا وتفهمهم ؟ كنت ورفيقي لي اذا اغتنمنا
خفة من زحمة مدرستنا نتردد الى مكتبة مطمئنة مسنورة لبس فيها شيء من العظمة وانما
عظمتها في حقارة شأنها كنا ننتاب هذه المكتبة في حي ريفي اي شيء في حي النصارى فما
كنا نجالس من الشعراء الا شيخنا ابا الطيب ولا كنا نحدث من الكتاب الا أستاذنا
عبد الله بن المقفع .

اني لا أزال اذكر الابهات التي كنا نرددها ونستعظمها ونحزن لا نعرف السر في
عظمتها ، ومن هذه الابهات ، وهي كريمة علي ، لانها رفيقة الصبوة وشقيقة الروح :
وانا لنتلق الحادثات بانفس كثير الزايا عند من قليل

(١) سلسلة المحاضرات التي القاها في كلية الآداب في دمشق الاستاذ شفيق بك جبوري
عضو الجمع العلمي ومدير الكلية المذكورة .

يهون علينا ان تصاب جسمنا وتسلم أعراض لنا وعقول
ومنها : واحتمال الاذى ورؤية جانيه غذاء تضيى به الاجسام
ذل من يغبط الدليل بعيش رب عيش اخف منه الحما
من يهن يسهل الهوان عليه ما لجرح يميت ايلام
ومنها في استعطاف سيف الدولة :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح اذا ارضاكم الم
ومنها في رثاء جدته :

اتاه كئابي بعد بأس وثرعة فمات سرور آبي فمت بها غما
حرام على قلبي السرور فاني اعد الذي مات به بعدها سما

نعم هذه طائفة من الشعر الذي كئنا نتحدث به انا ورفيقي من دون ان نخوض في
شيء من الكلام على بواطن هذا الشعر او ننصدي لكشف الغطاء عن اسراره وانما كان
يسحرنا بظاهره فيشغلنا جمال هذا الظاهر عن النظر في جمال الباطن فكئنا نجعل المنني
ونجعل طبيعة عبقريته وانما كئنا ننفي شعره حتى اقترعنا فطرحني النوى مطارحها واذا
انا في شارع من شوارع الاسكندرية واذا انا في دكان وراق من الوراقين فأخذت عيني
ديوان ابي الطيب الذي شرحه الشيخ اليازجي فاشترت هذا الديوان وحفظت منه ما ينسب
لي حفظه وقد ذهب المحفوظ الا اقله وانا لم ازد معرفة بالمنني وبحقيقة حاله وشعره وانما
ازددت عبادة له .

هذا اول عهدني بشيخنا ابي الطيب وما قدمت هذا الكلام عبثاً ، ولا رجعت الى
الماضي عرضاً ، فلم انعم ان اقلق غيري واضجره بكلامي على نفسي وانما المرء لا يكون
اميناً كل الامين الا اذا جرى على لسانه ما تصوره فكره هذا ما قاله انا اول فرانس ،
لم اعرض الماضي عليكم عبثاً وانما اردت ان اصف لكم طوراً من اطوارنا في فهم الادب ،
اردت ان اصور لكم كيف كانت دراستنا للادب من سبع عشرة سنة ، كئنا لا ندرى
بشيء من جملة حياة الشاعر وجملة اخلاقه وطبائعه وجملة عبقريته ، حسبنا ان نستظهر بعض
شماره ونروي هذ المستظهر في مجالسنا حتى يطبعنا الادب بطوابعه ويصبنا في قوالبه ،
اما اليوم فلا يكفيننا ان نملأ اذهاننا ببعض ابيات نجمع بها في محافل الادب ، تلك حالة

قد خلت ، ليس صاحبها في شيء ، من الادب ، قرأنا المنني فلم نعرف عنه كل شيء تمهنا معرفته ، لم نعرف اين ولد واين نشأ وكيف حصل وقراً ، وما هي اخباره من مبادئها الي خواتيمها ، كيف جال في الافطار وكيف اتصل بسيف الدولة ثم انفصل عنه ، وكيف قصد كافوراً ثم تركه ، وكيف عاد الى بغداد ثم خرج منها ، وكيف رحل الى بلاد فارس ثم غادرها فقتل في طريقه الى وطنه الكوفة ، قرأنا المنني فلم نخط بشيء من سلسلة اخباره ، فلم يتبين لنا طراز حياة المنني وما قصدنا ان نعرف انه اتصل بفلان او فلان من الوزراء والامراء ، وانما اذا عرفنا جملة اخباره استخلصنا منها نمط حياته فتبين لنا ان هذه الحياة كانت جياشة بالحوادث والفن فياضة بالقلق والاضطراب بكاد صاحبها لم يعرف الهدوء في يوم من ايامه ، ولم يذق الطمأنينة في ساعة من ساعاته ، اعصاب هائجة مائجة اذا حركوا منها طرفاً آنفضت ولا انفض البرق فوبل للذي مسها بسوء .

هكذا قرأنا المنني ، اما اليوم فاني احاول ان ادرسه واياكم على صورة اتم ، ووجه اكمل ، احاول اليوم ان اقرأ كل ما اهتدي اليه مما يتعلق بحياة المنني ، احاول ان اقرأ شعره وان ادون في دفترتي ما توحيه الي هذه القراءة ، وان احدثكم في كل اسبوع بما بقي في نفسي من آثارها على مختلف صفات هذه الآثار ، وعلى ما به لا بد لنا من ان ننقل الى وطن شيخنا ابي الطيب ونراقبه في اطوار حياته بمجامعها ونصحه في اسفاره كلها ، في جولانه في الشام وفي اتصاله بسيف الدولة ، وفي دخوله مصر وخروجه منها ، وفي رجوعه الى العراق وفي شخوصه من العراق الى فارس وفي مغادرته بلاد فارس وعودته الى وطنه وفي مقتله على طريقه الى الكوفة ، لا بد لنا من ان نصحب شيخنا ابا الطيب من مبدأ منشأه الى خاتمة حياته وان نعنى بجميع ما حدث له من الحوادث في مجالسه كلها وما اكثرت هذه الحوادث ، وان نستنبط منها طراز حياته وما ملئت به هذه الحياة من قلق واضطراب ، وما قلبت فيه من علو وهبوط لا بد لنا بعد الوقوف على دقائق هذه الحياة من معرفة مزاجه وخلقه مستندين في هذه المعرفة الى آثار عبقرية نفسها لا بد لنا من النظر في آثار عصره في شعره وآثار شعره في عصره ، ما الذي اوحاه اليه عصره وما الذي اوحاه الى عصره لا بد لنا من النظر في عبقرية وفي خصائصها راجعين في الاحاطة بهذه الخصائص الى مصادر شعره

وجملة القول : لا بد لنا من ان نعيش مع المتنبي حتى نعرف من هو المتنبي ، وقد يجوز أن يعرض لي في أثناء هذا كله فكر عام يحمره فكر خاص ، لان المرء اذا تصور موضوعاً وهياً له عناصره ثم اخذ قلمه ليكتب هم على ذهنه شيء ما كانت بتصوره ، كان قلم ابن المقفع كثيراً ما يقف فقيلاً له في ذلك فقال نودحهم الافكار في صدري فيقف القلم فحيره .

اول ما يهمننا علمه الاحاطة بحياة المتنبي من اولها الى آخرها ، والوقوف على اخباره وحوادثه من دون ان تكون هذه الاخبار مقتضبة مبعثرة فاذا وقع الانقضاب في الاخبار فالتنا صورة صاحبها المتكامله ، فاذا كننا نبحث عن حياة المتنبي وتعرضنا في خلال بحثنا للكلام على شعره من دون ان يكون لهذا الكلام ارتباط بحياة صاحبه شاعت صورة هذه الحياة وقبحت فالاجدر بنا ان نرسل اخبار الحياة دفعة واحدة ، وقد عني الافرنجة بهذا النمط من الترتيب العناية كلها ، اذكر اني قرأت كتاباً عمله « اناطول فرانس » سماه العبقريّة اللانديّة ، وصف فيه طائفة من كبار شعراء فرانسة وكتابها من جملة هؤلاء الشعراء (راسين) وكاد راسين يكون اكبر شعراء فرانسة عقده له اناطول فصلاً في كتابه يشتمل على خمس وثلاثين صفحة لم يذكر فيها الاحياء راسين من صدورهم الى اعجازها وقليلاً ما كان يتعرض للكلام على عبقريته في تضاعيف كلامه على حيانه الا ما افنضاه المقام ، من هذا يتبين لكم مبلغ اخبار الكتاب او الشاعر في الادب الحديث لان لهذه الاخبار تعلقاً بروح الشاعر وبأخلاقه وبطبائعه وبعقريته نفسها .

رجعت الى المصادر التي استطيع ان اهتمدي بها الى معرفة حياة المتنبي من جملة هذه المصادر : ابن خلكان ، طبقات الادباء ، بثيمة الدهر ، الصبح المتنبي . تصفحت كتاب ابن خلكان فبدلاً من ان يبدأ بالكلام على مولد المتنبي ثم على اهله ثم على تحصيله ثم على اخباره ثم على شعره ، بدأ بالكلام على تحصيله ثم انقل الى الكلام على شعره ونثره ثم ذكر نظر الناس فيه ثم رجع الى اخباره ثم بين مولده ثم ذكر نسبه حتى ركب البحث بعضه بعضاً دون شيء من الترتيب وكذلك صاحب الصبح المتنبي فانه عوضاً عن ان يروي لنا اخبار المتنبي دفعة واحدة رواها على صورة مفرقة مبددة وانه ليروي لنا اخبار المتنبي عند سيف الدولة اذ ينقلب بنا فجأة الى اخباره عند ابن العميد ، بحيث قضيت ثلاث ساعات ونصف ساعة في التدقيق والتحصيل حتى اجمع اخبار ابني الطبيب كلها ، واصل بعضها

ببعض من بدء حياته الى يوم مقتله ، فلو ذكر صاحب الصبح المنبي الاخبار دفعة واحدة من دون ان يتخللها شيء من نقد الشعر او غيره مما لا محل له سيق فصل الاخبار لكنني القاري كثيرآ من العناء . ادبنا في القديم لا يزال فوضى بنقصه كثير من الترتيب ، وهذه حقيقة واضحة حتى ان هذه الفوضى قد حملت بعض الناس على ان يعتقدوا اننا لا ادب لنا في القديم ، او ان هذا الادب لا قيمة له . وما اعتقدوا هذا الاعتقاد الالفة الترتيب في ادبنا فلوروى المؤلفون اخبار شاعر من الشعراء على حدة حتى نستخلص من هذه الاخبار طراز حياته باجمعه . ولو نقدوا شعر هذا الشاعر على حدة حتى نستنبط من هذا النقد رأيهم في الشعر دون ان يتخلل الاخبار شيء من النقد . او ان يتخلل النقد شيء من الاخبار مما لا يتعلق بالنقد . لو فعل المؤلفون هذا كله لكان ادبنا في شكل اتم ، فاذا لنا ادبنا في القديم فوضى فما في مقالنا شيء من المبالغة . وما اظن ان ادبنا في الحديث فحسن ترتيبآ . ومن المؤلم ان يدعوا استاذ روسي في المجمع العلمي في لينغرد وهو الاستاذ اغ. اطيوس كراتشكوفسكي ادباء العرب الى تنظيم ادبهم في هذا العصر قبل ان يفكر احد امن هؤلاء الادباء في التنظيم ، فقد كتب هذا الاستاذ مقالة بالعربية مماها : درس الاداب العربية الحديثة — مناهجه ومقاصده في الحاضر — نظر واقتراح — وارسل مقالته الى مجلة المجمع العلمي في دمشق ، وستظهر هذه المقالة قريبآ في مجلة المجمع . وقد قرأناها كلها فان صاحبها دلنا على ما يجب علينا ان ننهجه من المناهج في ترتيب ادبنا الحديث واقترح ان يكون دخول نابوليون مصر فاتحة عصر هذا الادب .

دمشق : في ١١ كانون الثاني سنة ١٩٣٠



وطن المتنبّي

خذ العذراء

- ٢ -

« موقع الكوفة - اوليتها - وصفها »

انقل بكم في غسق ليلتنا هذه من البلد الذي رمى ظله عليه جبار بني أمية الى البلد الذي أوفت ظلاله فيه جبار بني العباس ، انقل بكم من دمشق الى بغداد :
محضتك يا بغداد ودي على النوى والي ان أمحض ودادي أصدق
فما يردى لولا الفرات بمورد أظيان ان يشرب من الماء بشرق
ولا دجلة لولا مناهل جلق بمجرى برود كالرحيق مصفق
انقل بكم من شواطئ بردى الذي تكاد نسمع نجواه وراء قاعة مدرستنا الى شواطئ الرافدين : دجلة والفرات ، تصوروا الامم التي طوتها هذه الانهر الثلاثة ، تصوروا العبقرات التي نبتت على ضفاف هذا الماء السادر في غلوائه ، الجامع في خيلائه ، الذي مالتك بسخر في ماضيه وحاضره وآتبه من كل جبار عنيد . ماذا ولهذه الذكريات الاليمية ، استغفر الله . وهل الامم الا سلاسل ذكريات . هل كان الحاضر الا ابن الماضي هل كان الآتي الا نتيجة الحاضر ؟ . انقل بكم من منازل العصاة الذين نادهم حسان في الزمان الاول بجلق ، من منازل ابناء جفنة على يردى الى منازل النعمان على الفرات من منزهات الغوطة جنة الدنيا الى منزهات الخورنق والسدير .

اني لاجوز هذه المواضع كلها دون ان اقف بكم على موضع منها ما خلا موضعاً طلع على الدنيا والناس من عشرة قرون وثيف برجل ملا الدنيا وشغل الناس ، وقبج بنا ان نلقى شيخنا ابا الطيب في ضيعته ونبعثه من مرقده من غير ان يطوف بالوطن الذي انبت امثال ابي الطيب ، ولا مثيل له ، ونعرف شيئاً من خصائص هذا الوطن ، والمرء ابن ارضه وسماؤه ومائه وهوائه بأخذ من تربته ويعطيها ولناجيه ويناجيها يؤثر فيه كل ناحية

من نوحى هذه التربة فلا يتخلص من عوامل طبيعتها ولا ينسلخ من عوامل السياسة والاجتماع والتاريخ في آفاقها ، على ان بعضهم لم يجعل للبيئة المقام الاول في نشوء العبقريات ، قال الاستاذ برونثير :

« لا ننسوا ان المرء وان كانت بيئته تؤثر فيه فهو يستطيع ان يتخلص من آثارها وانه يستطيع ان يصرفها في مصالحه وقد أجمع علماء الطبيعة على هذا الامر ، لاشك في انهم لا ينكرون آثار البيئة ولكنهم بعيدون عن ان يجعلوها حتى في علم الحيوان المحل الذي جعله لها (نين) في مذهبه » .

وسواء اتركت الكوفة في شعر ابي الطيب أثراً من آثارها ام لم تترك . وسواء اكان هذا الاثر غامضاً ام كان واضحاً لا بد لنا من السياحة في الكوفة .

اين هو هذا الوطن على التحقيق ، نقرأ ان المنبي ولد في الكوفة في محلة يقال لها كندة ، ولكننا قليلاً مانهم بمعرفة موقع الكوفة قليلاً ما نبالي بمعرفة طبيعتها ولا نسأل هل تغنى المنبي بوطنه ، هل عبق وطنه . وحسبنا ان نعلم ان الكوفة مدينة من مدن العراق . قال ياقوت في معجمه : الكوفة بالضم المصير المشهور بارض بابل من سواد العراق . لاشك في ان هذا التعريف العام لا يزال مبهماً ، فهو لم يزدنا علماً بموقع الكوفة ، فلم يبين ياقوت اين الكوفة من بغداد واين هي من دجلة او الفرات حتى انه اورد ابياتاً في هجاء اهل الكوفة من جملتها بيت من الشعر أتحاشى عن ذكره في مثل هذا المقام ، يدل هذا البيت على ان الكوفة قريبة من دجلة وهذا خطأ لم ينبه عليه ياقوت .

قال صاحب كتاب بلاد العرب الاستاذ (دي فرجر) مصغر عمر البصرة على خليج فارس ، ومصغر الكوفة على بحيرة الرهيمية . فأين الرهيمية ؟ يقول لنا الفيروزآبادي في قاموسه المحيط : ورهيمية كجينة عين بين الشاسم والكوفة . وهذا التعريف لا يقل غموضاً عن تعريف ياقوت للكوفة . وردت الرهيمية في شعر المنبي معرفة بال . لما خرج ابو الطيب من مصر ورجع الى الكوفة وصف منازل طريقه فقال في جملة ما قال :

فيا لك ليلاً على اعكش احم البلاد خفي الصوى
وردنا الرهيمية في جوزه وباقيه اكثر مما مضى
فلما انخسأ ركزنا الرماح بين مكارمنا والعي

من هنا يستدل على ان الكوفة واقعة على الرهبة او قرية منها لانها آخر ما ذكر المنبي في قصيدته من المواضع ، وقد ذكر عشرين موضعاً فبعد ان ورد الرهبة قال : ركزنا الرماح اي بلغنا الى الكوفة .

فالكوفة على التحقيق واقعة على الجانب الجنوبي من بغداد ، في الجانب الغربي من الفرات ، وبينها وبين بغداد مائة واربعون كيلومتراً وصفها عراقي لي فقال : فيها بساتين ولا تزال آثار مسجدتها القديم قائمة .

ولئن طولت الكلام على موقع الكوفة فقد تعمدت هذا التطويل لنعرفوا قلة التوضيح وقلة التحقيق في كثير من كتبنا .

ما معنى الكوفة . ويسميتها قوم خد العذراء وسماها عبدة بن الطيب : كوفة الجند فقال :

ان التي وضعت بيتاً مهاجرة بكوفة الجند قد غالت بها غول
قال ياقوت في معجمه :

« قال ابو بكر محمد بن القاسم : سميت الكوفة لاستدارتها ، اخذ من قول العرب رأيت كوفانا ، وكوفانا بضم الكاف ونحوها للرميلة المستديرة ، وقيل : سميت الكوفة كوفة لاجتماع الناس بها من قوهم تكوف الرمل اذا ركب بعضه بعضاً ، ويقال : اخذت الكوفة من الكوفان . هم في كوفان اي في بلاء وشر ، وقيل : سميت كوفة لانها قطعة من البلاد . من قول العرب قد اعطيت فلان كيفة اي قطعة ، ويقال : كفت كيف كيفاً اذا قطعت فالكوفة قطعة من هذا ، انقلبت الياء فيها واواً اسكونها وانضم ما قبلها . وقال فطرب : يقال القوم في كوفان اي في امر يجمعهم ، قال ابو القاسم : قد ذهب جماعة الى انها سميت كوفة بموضعها من الارض وذلك ان كل رملة يخاطبها حصباء تسمى كوفة . وقال آخرون : سميت كوفة لان جبل سانيذما يحيط بها كالكاف عليها . وقال ابن الكلبي : سميت بجبل صغير في وسطها كان يقال له كوفان ، وعليه اختطت مهرة موضعها . وكان هذا الجبل مرانفاً عليها فسميت به . فهذا في اشتقاقها كاف . »
نعم هذا في اشتقاقها كاف . وهذا اكثر من الكافي ، ثمانية اسباب في تسمية بلد ، يحار المرء في معرفة الاصح منها ، فيخرج من حيرته هادي البال ، مطمئن الفكر بقوله : والله اعلم .

مالا ولهذه الفوضى ، فلننظر الى اولى الكوفة في الاسلام ، فلنرجع الى أوائل الفتح الاسلامي ، فلنرجع الى ايام عمر بن الخطاب دون ان نجاوز هذا الزمن مخافة ان نضيع في مجاهل العصور .

بنيت الكوفة في خلافة عمر بن الخطاب على مقربة من أطلال الحيرة ، منازل المناذرة والاكامرة قبل الاسلام . قال قوم : مصرت الكوفة في السنة التي مصرت فيها البصرة وهي سنة ١٧ ، وقال آخرون : مصرت الكوفة بعد البصرة بسنتين ، وقالوا بسنة . والسبب في بنائها ان امير المؤمنين عمر بن الخطاب كانت نفد عليه وفود العرب بعد الفتوح وألوانهم شاحبة ، وسخسائهم متغيرة ، فكتب الى سعد بن ابي وقاص : ان العرب لا يصلحها من البلدان الا ما اصلح الشاة والبعر ، فلا تجعل بيدي وبينهم بحراً . عليك بالرف ، فوقع اختيار سعد على ارض يقال لها قبل الاسلام سورستان فبنى فيها الكوفة ، وكان اول ما خط فيها المسجد ودار الامارة وقد نزل الكوفة في أوائل الفتح الاسلامي جماعة من تزار واهل اليمن ، اما اهل اليمن فكانت خططهم في الجانب الشرقي من البلد وهو خير الجانبين ، واما تزار فقد كانت خططهم في الجانب الغربي من وراء الغابات ، اني الفئكم من اليوم الى منازل اهل اليمن في الكوفة فسير بكم ان المثني ينسب الى حي يمان فكان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول امرها في الاسلام أحبوا ان يسموا محلتهم فيها كندة احياء لذكر كندة ابي حي من اليمن ، والمثني ولد في هذه المحلة حتى قال قوم بدي الشعر بكندة ، بعنوت امراً القيس ، وختم بكندة بعنوت ابا الطيب .

هذا موقع الكوفة وهذه اوليتها ، افلا يليق بنا ان نسمع وصفها ، ونعرف طبيعتها وللشاعر ارتباط بطبيعة وطنه ، وصف الكوفة محمد بن عمير العطساردي لعبد الملك بن مروان فقال : الكوفة سفلت عن الشام ووبئسها وارتفعت عن البصرة وحرها فهي برية مربعة اذا اثقنا الشمال ذهبت مسيرة شهر على مثل رضاء الكافور واذا هبت الجنوب جاء لنا ريح السواد وورده يا سمينة واترنجه ، ماؤنا عذب وعيشنا خصب .

ووصفها الحجاج فقال : واما الكوفة فبكر عاطل عنطاء لاحلي لها ولا زينة .

وكان علي اذا اشرف على الكوفة يقول : يا حبذا مقالنا بالكوفة — ارض سواء
سهلة معروفة — تعرفنا جملها العلوقة ^(١) .

والظاهر ان الكوفة صبغت في بدء امرها بصيغة دينية فكان سلمان الفارسي يقول :
اهل الكوفة اهل الله ، وهي قبة الاسلام يحن اليها كل مؤمن ، وكان علي يقول : الكوفة
كنز الايمان وحجة الاسلام وسيف الله ورمحه بضعه حيث شاء والذي نفسي بيده لينصرن الله
بأهلها في شرق الارض وغربها كما انصر بالحجاز .

وقال سفيان بن عيينة : خذوا المناسك عن اهل مكة وخذوا القراءة عن اهل
المدينة وخذوا الحلال والحرام عن اهل الكوفة .

هذه صورة الكوفة التي عرضوها علينا ، ولكنها سرعان ما عركت بالنوازل وركبت
بالزلازل كما قال علي ، ولقد اشبه المنابي امه الكوفة فما ظلم فما كان الابن النوازل ولا
كان الا صنو الزلازل ، مارسته ومارسها وطاعته وطاعنها فما هو ملأها ولا هي ملأته .

نعم هذا هو وصف الكوفة على قدر ما تبسر ، ولقد نشأ في الكوفة من الشعراء عظيم
ابن اياس وحامد عجرد وابو دلامة ودعبل الخزاعي وابو العتاهية وغيرهم حتى قال بعضهم :
الشعر ميراث في الكوفة ، ولما استنفر علي اهل الكوفة لقتال اهل الشام ولم ينفروا معه
خطب فيهم فقال : اذا تركتكم عدتم الى بحالكم حلقاً عزين تضربون الامثال ولناشدون
الاشعار ، تربت ايديكم وقد نسيتم الحرب واستعدادها ، وأصبحت قلوبكم فارغة من ذكرها
وشغلتموها بالباطيل والاضاليل » فالظاهر ان الشعر كان يجد في خد العذراء تربة
صالحة وهواءاً صالحاً حتى زعم حماد ان النعمان بن المنذر امر ففست له اشعار العرب في
الكراريس ثم دفنها في قصره الابيض بالكوفة فلما وثب الخنار بن ابي عبيد الثقفي بالكوفة
سنة ٦٦ في سلطان ابن الزبير قيل له : انت تحت القصر كنزاً فاحفره فأخرج تلك
الاشعار قال : فمن ثم اهل الكوفة أعلم بالشعر من اهل البصرة .

وفي الكوفة نشأ اكابر النخاة معاذ الهراء والكسائي والفراء وابن السكيت فكانت
الشدوذ من طبع الكوفيين .

(١) هكذا ورد الضمير في تعرفنا والمقام يقتضي رجوعه الى الجمال .

وفي الكوفة نشأ اكابر علماء اللغة والادب كهاد الراوية والمفضل الضبي وابي عمرو الشيباني وابن الاعرابي وابن قتيبة وفيها نشأ كثير من الحفاظ .
من كل ما تقدم يتبين لكم ان الكوفة مدينة الشعر ومدينة الفخو والشذوذ ومدينة اللغة ومدينة الدين . فقد ظهر فيها شيء من هذا كله وظهر على شيخنا ابي الطيب شيء من هذه الآثار باجمعها فالشعر من طبع المنني والشذوذ من سجيته واللغة مختصرة فيه الا الدين فاني لا اجد في شعره أبيات قلائل فيها شيء من النزعة الاسلامية افتضتها طبعه الحرب بين الروم والمسلمين .

واست أعني بهذا ان الكوفة هي التي خلقت الشعر في طبع المنني او طبعته على الشذوذ ولو كان الامر كذلك لوجب ان يكون شعراء الكوفة كلهم مثل المنني وانما المنني مطبوع على الشعر ومطبوع على الشذوذ . واذا كان للبيئة اثر في المرء فقد يجوز ان يكون للكوفة بعض الاثر في نمو هذا الطبع وليس في هذا شيء من المبالغة على ان هذا المقام انما هو مقام الكلام على وصف الكوفة وطن ابي الطيب لا غير ، فلا أخرج عن هذا الكلام .

هذا آخر ما أحببت ان اذكره لكم مما يتعلق بالكوفة ، ولقد وددت لو ان خلد العذراء اثرأ في شعر المنني أبلغ من الاثر الذي وجدته فليتي لم أعرف الكوفة الا من شعر ابي الطيب . واذا الشاعر لم يتغن بوطنه فمن الذي يتغنى به ؟ ان النفوس تحرر كما محبة الألوان والأشكال اي أشكال هذا الوطن الكريم والوانه البراقة الوضاعة ففي استطاعتنا ان نتغنى بحبالنا واودبتنا وبمروجنا وسهولنا ومتى استطعنا ان نتغنى بهذا النسيم العليل الذي نشقه اباؤنا وأجدادنا ، وبهذا الماء العذب الذي وردوا عليه وصدروا عنه وبهذه الغوطة الغناء بحلى الطبيعة ، ومعنى الانس عرفنا حينئذ قيمة الوطنية الدقية الهادئة التي لا تقوى على قتلها العصور والأحقاب فما تكو عليها الايام الا ازدادت رسوخاً في القلوب وتمكناً من الصدور .

ان شيخنا ابا الطيب لم يبر وطنه المبرة التي نريدها في هذا العصر فكأن فكرة الوطن حديثة ، ولكنها غير حديثة الا ان شعراءنا لم يعالجوها في القديم معالجتناها في هذه الايام . لم يترك المنني في شعره اثرأ للكوفة . ولكنه تغنى ببعض منازل قرية من وطنه

فتارة كنت أجد شديداً الحنين الى كندة محبته بالكوفة حتى جعل هذه المحلة بمنزلة والدته
فقال لعلي بن ابراهيم النخعي :

امنسي السكون وحضرمونا ووالدي وكندة والسبيعا
وتارة كنت اجد له لا يوحشه وطنه اذا شطت به الذوى فهو أبقى يضرب في البلاد كما تسبأ فقد قال
وما بلد الاناس غير الموافق ولا اهله الا دنون غير الا صادق
نعم مرة كان يستوحش فيشتاق الى وطنه والى اهل من مصر :
بما التعلل لا اهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

أحن الى اهلي واهوى لقاءهم وابن من المشتاق عنقاء مغرب
ومرة كان يستغني عن هذا الوطن فيطيب له المقام بكل ارض بأمل فيها ضيعة
او ولاية ، فقد قال لكافور في مصر :
اذا لم لنطبي ضيعة او ولاية فجوذك يكسوني وشغلك يسلب
وقال له :

وكل امريء بولي الجليل محبب وكل مكان يفت العز طيب
واخلاصة لم يغتن ابوالطيب بالتربة التي أنبتته وبالهواء الذي شمه وبالظلال التي
أظلمته واذا حن في بعض الأحيان الى شيء من هذا كله وذكر بعض أماكن قريته
من وطنه اختصر الكلام ولم يطوله :

وايلاً توسدنا الثوبة تحته كأن ثراها عنبر في المرافق
بلاد اذا زار الحسان بغيرها حصى نوبها ثقبته الميخانيق
والثوبة موضع على مقربة من الكوفة .

وكم دون الثوبة من حزين يقول له قدومي : ذا بلداً كما
على ان المنبي كان جواب آفاق قد دحا الارض فلم تثمد الغته لوطنه .
كأنني دحوت الارض من خبرتي بها كأن بني الاسكندر السد من عزمي
فكان اذا نزل منزلاً وكثرته اهل هذا المنزل و بجلوه . استطابه فلم يحن الى ربه .
دمشق : في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

نسب المتنبي

- ٣ -

اتصاله بقبائل اليمن - تأثير الدم - نخره بقومه -

فهم الناس لشعره - اهله

استوفتكم وانا اطوف بكم في « خد العذراء » على الجانب الشرقي من هذا البلد الطيب ، مهبط الشعر والعبقريّة ، وذكرت لكم ان اهل اليمن الذين نزلوا الكوفة في اول تمصيرها كانت خططهم ومنازلهم في هذا الجانب ، وهو خير الجانبين ، والمنني ولد في كندة وهي محلة في الكوفة ، فكان الجاهلين الذين استوطنوا الكوفة ، احبوا ان يجهبوا فيها اسماء بطونهم ، فسموا محلة كندة ، وكندة ابو حي من اليمن ، وسموا محلة ثانية السبيع ، والسبيع بن سبع ابو بطن من همدان ، وهمدان قبيلة باليمن ، وقد جاء ذكر المحلاتين في شعر ابي الطيب ، وزويت لكم البيت الذي تضمنها :

امنسي السكون وحضرمونا والذقي وكندة والسبيعا

فلننظر هل للمنني اتصال بهذه القبائل اليمنية وما هو نسب المتنبي .

لست ادري كيف يؤلفون في مثل هذا العصر ، عصر التنقيب والاستقصاء كتاباً يبحث بجذافه عن حياة المتنبي وخالقه وشعره واسلوبه ، من دون ان يعتموا بالبحث عن اصل المتنبي ، سواء أكان هذا الاصل ظاهراً ببعض الظهور ام كان خفياً بعض الخفاء ، لست ادري كيف يفهمون كلام الذي يقول :

وفؤادي من الملوك وان كان اساني يرى من الشعراء

من دون ان يعتنوا بالسؤال عن آباء الذي يحمل هذا الفؤاد ، فاذا خفي علينا اصل المتنبي ، خفي علينا ادراك روحه الذي يترقّق في شعره ، واذا نحن لم نفهم روح الشاعر فما الذي نفهمه من شعره .

اجمع الرواة على ان شيخنا ابا الطيب اسمه احمد ، وقد صرح باسمه في شعره .

تحمّل المسك عن غداثرها الريح ونفث عن شنيب برود
 جمعت بين جسم احمد والسقم وبين الجفوف التسييد
 واجمعوا على ان اباهم اسمه الحسين ، فالمتنبي احمد بن الحسين ، ولكنهم اختلفوا في
 اسماء اجداده ، فقال بعضهم : هو احمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد ، وقال
 آخرون : هو احمد بن الحسين بن مرة بن عبد الجبار ، ولئن اضطربوا في اسماء اجداده
 فقد اطبقوا على ان ابا المتنبي جعفي . قال صاحب طبقات الادباء : وذكر القاضي ابو الحسن
 ابن ام شيبان الهاشمي الكوفي ان عيدان كان جعفياً صحيح النسب . وعيدان السقاء لقب
 والد المتنبي ، فقد هداً بالنا من ناحية نسب ابيه ، فلننظر اليه من ناحية نسب امه فلنستعمل
 بطبقات الادباء فقد جاء فيه :

قال ابو الحسن : وكانت جدة المتنبي همدانية صحيحة النسب لا اشك فيها وكانت
 جارلنا وكانت من صلحاء النساء الكوفيات ، من هنا يتبين لكم ان والد المتنبي جعفي وان
 جدته همدانية ، فانكشفت لنا ناحية من نسبه نستطيع الاستعانة بها فلننسي اصل من
 الاصول ، فلندقق هذا الاصل على قدر الامكان .

قلت : نزل الكوفة في اول امرها جماعة من اهل اليمن ومن هذه الجماعة همدان
 ومذحج ، وبهمدان ومذحج استعسان زياد وهو امير البصرة والكوفة على القبض على حجر
 ابن عدي صاحب فتنه الكوفة في ايام زياد وعلى شباب همدان ومذحج في الكوفة كان
 يثني زياد فاذا علم ان بين السنة التي مضت فيها الكوفة وهي سنة ١٧ وبين السنة التي
 ولد فيها المتنبي وهي سنة ٣٠٢ ثلاثة قرون على التقريب واذا احطتم من جهة ثانية
 باسماء ثلاثة من اجداد المتنبي تحقق عندكم ان اصل المتنبي من هذه القبائل البجائية التي
 رمت اظلالها على الكوفة في اول بنائها .

والد المتنبي جعفي وجدته همدانية فالمتنبي يثاني الاصل من الناحيتين من ناحية
 ابيه ومن ناحية امه وفي فضائل بيوتات اليمن يقول عبد الله بن عباس لبعض
 البجائية : لكم من السماء نجمها ومن الكعبة ركنها ومن الشرف صميحه .
 فلننظر الى المتنبي من ناحية ابيه . كان الحسين جعفياً صحيح النسب وجعفي على
 وزن كرمي من بطون سعد العشيرة وانما سمي سعد العشيرة لانه لم يمت حتى ركب

معه من ولده وولد ولده ثلثائة رجل وسعد العشيرة من قبائل مذحج وبيهان مذحج
افر ابو عبيدة فقال : لسان العرب مذحج .

ولننظر اليه من ناحية جدته . كانت جدته همدانية صحيحة النسب ، و بفروسية
همدان اعترف ابن الكابي فقال : و همدان احلاس الخيل وفي همدان يقول الشاعر :

ناديت همدان والابواب مغلقة ومثل همدان سنى فتحة البساب
كالمندواني لم تغفل مضاربه وجه جميل وقلب غير وجاب
وفيهم يقول علي :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلوا بسلام
ومن همدان اعشى همدان وهو شاعر كوفي من شعراء الدولة الاموية وكان
الذئبان بن بشير عامل حمص يقول فيه : هذا شاعر اليمن ولسانها .

فالفروسية والصلاح من جملة اخلاق القبائل التي ينتسب اليها المتنبي والبيهان
في هذه القبائل .

اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان نفهم كلام الذي يقول وفؤادي من الموك . . .
فان الذي ينتسب الى قبائل فيها شيء لا يل اشياء من الفروسية والصلاح وان الذي
ينتسب الى جدة صالحة موصوفة بالحزم لا يستغرب فيخذه ان يغفر .

نعم اذا احطنا بهذا كله هان علينا ان ندرك روح المتنبي واسرار خلقه في الآتي
وليس من الضروري ان تكون جدة المتنبي صالحة او ان يكون جده او خاله او عمه فارسا
من الفرسان ، حتى يتوارث المتنبي عنهم الصفات وانما يكفي ابا الطيب ان يكون احد
اهل بيته . في القديم قد جمع شيئا من هذه الصفات حتى ينتقل اليه هذا الشيء على سبيل
الميراث فالمرء يتوارث محاسن الصفات ومقايها عن ائله في قرهم منه وبعدهم عنه فقد
يتوارث عن ابيه او خاله او عمه وما بينه وبين واحد منهم الا قليل من الزمن وقد يتوارث
عن احد اقارب به في قديم الدهر معها كان مدى الايام بينه وبين هؤلاء الاقارب متراخيا
فالعرق نزاع .

قرأت مقالاً في مجلة يباريز لعالم من العلماء خلاصتها اننا لو حوطينا في هذه الايام
بلاد الترك بعد ان تغيرت سماتهم عن سماتهم القديمة ومنعنا الامم عن محالطتهم وحصروا

الترك في بلادهم فلم يصهروا الى احد من غيرهم ولم يصهر غيرهم الى احد منهم ودام هذا الحصر الف سنة لرجعت هياثهم بعد الف سنة الى هياث الترك القدماء المعروفين بلونهم الخاص وبتركيتهم الخاص وبصفاتهم الخاصة .

من هذا يسهل عليكم ان تعتقدوا ان المتنبي انتقلت اليه صفاته التي سوف نكشف لكم في كلامي على اخلافه من احد اقاربه في الحديث او في القديم ولا عجب في هذا مادام ابوه جمعياً ومادامت جدته همدانية وفي جمعي وفي همدان صفات تشبه صفات ابي الطيب .

للدن تأثير في العبقريات واطن انكم لا تزالون تذكرن مذهب (نبن) في النقد فقد اراد (نبن) ان يجعل للجنس وللبيئة وللزمن تأثيراً في القرائح والامزجة فمن البشر على مايقول من يجمع صفات الشجاعة والفظنة ومنهم من يعرف بالبلاهة وقصر المدارك ومنهم من يعلم في التصورات والمخترعات ومنهم من يسف ومنهم من يختص بطائفة من الاعمال ونقوى فيهم طائفة من الغرائز كما ان من الكلاب ما يصلح للعدو والركض ومنها ما يصلح للصيد ومنها ما يصلح لحراسة الدور والمواشي .

وقد ذكرت لكم ان (نبن) قد أدخل عناصر حديثة في دراسة الآثار الادبية الا ان مذهبه لا يخلو من شيء من الافراط ، وقد أشار الاستاذ (برونثير) في اثناء كلامه على هذا المذهب الى ناحية الافراط في نظر (نبن) ان بعض اجناس البشر يصلحون لشيء لا تصلح له اجناس غيرها فقال (برونثير) لو صح هذا النظر على الاطلاق لامتنع علم ماوراء الطبيعة في الشعوب السامية مثلاً لان هذا العلم مشهور في الشعوب الآرية في الهند وعلى الرغم من هذه الشهرة فقد كان اكبر عالم في علم ماوراء الطبيعة في العالم كله رجلاً سامياً من بلاد البرنغال وهو سبينوزا .

ولئن كان مذهب (نبن) فيه شيء من الافراط فهو لا يخلو من شيء من الحقائق . فان للدن تأثيراً في العبقريات . فقد تشتهر اجناس من البشر بامور لا يشتهر بها غيرها . وقد تعرف قبائل باشياء لا يعرف بها غيرها . كانوا يقولون مثلاً : جرأة بني الحرث . فتك مراد . بأس زبيد . كيد جمعي . مغارطي الى غير ذلك . وقد يتوارث اواخر القبيلة المحاسن والمساوي عن اوائها . فالتنبي انتقلت اليه صفاته من احد اقاربه في

جعفي أو في همدان على سبيل الارث . ولا يمكن ان يجمع المتنبي صفاته المعروفة من دون ان يكون مجموعة في أحد أقاربه .

من كل ما تقدم استخلص ان ابا الطيب وقد صح نسبه في جعفي وفي همدان ولد وفي طبعه اشياء متوارثة عن اهل في هاتين القبيلتين . فهو لم تحدثه نفسه بهذه الاماني البعيدة من دون ان يكون منسباً الى اهل قد حدثتهم انفسهم بمثل هذه الاماني . واذا لم نشأ ان نفهم هذا كله فكأننا لا نشأ ان نفهم روح ابي الطيب .

فالشيخ ابو الطيب يماي الاصل من ناحية ابيه ، ومن ناحية أمه فهو عريق في يمانيته . وفي عربيته . وسأتكلم في الاسبوع الآتي بكلام على نغمة بعروبيته . ومن الغريب ان المتقدمين من المؤلفين وفي حملتهم ابن خلكان وصاحب طبقات الادباء والشعالي وصاحب الصبح المنبي اقتصروا في كلامهم على ابي الطيب على ان قالوا في ابيه انه جعفي ، وفي جدته انها همدانية من دون ان يبحثوا عن أسرار هذه الصفات التي اجتمعت فيه . ومنهم من لم يشر الى أصله ، وأعرب من هذا كله ان صاحب كتاب ابي الطيب المتنبي الذي نشر كتابه في مصر من تسع سنين ، قد انبت ابا الطيب في اسوار المنابت ، وردده الى ارض الاصول ، ولم يكتف بهذا كله فذهب مذهباً بعد ، فقد ذهب الى ان ابا الطيب نفسه كان يعترف في بعض شعره بوضاعة نسبه والخطاط اصله ومن هذا الشعر قوله في رثاء جدته :

ولو لم تكوني بنت اكرم والد لكان اباك الضخم كونك لي أمًا

فظن ان ابا الطيب ينفي عن جدته كرم والدها ، وعجيب طراز هذا الفهم ، فابو الطيب يقول لجدته في هذا البيت : لو لم بأنك الكرم من نواحي اهلك لانتاك من ناحيتي ، فكأنه يقول : انت بنت اكرم والد ، وانت أم اكرم ولد ، فقد جمعت اليك الكرم من ناحية اهلك ومن ناحية ابنك ، ولعمري كيف ينفي الكرم عن قومه من يقول في القصيدة نفسها :

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظم

فاذا كان القوم الذين تأنف نفوسهم ان تسكن اللحم والعظم لا يملكون من كرم الاعراق شيئاً فمن الذي يملك هذا الكرم ؟ أفملكه اللاصقون لمخومهم اللازقون بعظامهم الذين لم يخلقوا في جوة اعلی من جوة الحيوانية .

وكما انه اساء الى ابي الطيب في فهم هذا البيت فقد اساء اليه في فهم ابيات غيره من جملتها قوله :

ولست بقانع من كل فضل بان أعزى الى جد مهمام
فظن ان ابا الطيب ينفي عن جده عظيم همته والتمني بقول ولا يحتاج قوله الى دليل
لست أفتع من الفضل بان اكون منسوباً الى جد عظيم المحمة وانما أمتني ان اجمع شيئاً من
الفضل بنفسي فأبو الطيب يعتقد انه فاضل وابن فاضل .
من جملة هذه الابيات التي ساء فهمهم لها قوله :

نخر الفتي بالنفس والأفعال من قبله بالعم والأحوال
او قوله لباحث عنه :

انا ابن من بعضه يفوق ابا الباحث والفجل بعض من نجله
انما يذكر الجدود لهم من نفروه وانفسدوا حيله
فلا يستنبط من هذا ان المتنبي لا يفخر بعمومته وخؤولته وانما المتنبي يرجع في هذه
الابيات الى شذشيته ، فهو يرى ان الفخر بالنفس وبالفعل أعظم من الفخر بالعم وبالأحوال
وهذا لا ينفي عن ابي الطيب فخره بالعمومة والخؤوله وانما يؤيده فكأنما المتنبي يريد ان
يجمع الى تالذ الفخر طريقه وهذا أبعد مجالات المحمة .
ولما قال :

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي وبنفسني نخرت لا يجوددي
وبهم نخر كل من نطق الضاد وعود الجاني وغوث الطريد
لما قال هذا ظنوا انه يعتقد ان قومه لا شرف لهم وانما الذي عناء بقوله هذا ان
قومه شرفاء وانهم نخر العرب كلها ولكنه اشرف من قومه .
ما رميت في كلامي هذا الى الدفاع عن منبت المتنبي وعن اخلاقه وانما اردت ان انبه
على خطأ وقعوا فيه مما يتعلق بفهم المتنبي وما اظن انهم انبتوا ابا الطيب هذا المنبت
الا لان والده كان سقاء في الكوفة حتى قالوا :

اي فضل لشاعر يطلب الفضل من الناس بكرة وعشيا
عاش حيناً يبيع في الكوفة المساء وحيناً يبيع ماء الحيا

فلو كان الحسين الجعفي من اصحاب النعم افكان الناس ينظرون الى المتنبي وابوه غني
نظروهم اليه وابوه سقاء ، فانال وحده هو الذي حرّف الانظار ، ومضى كان المال مقياس
الاصول وكرم الاعراق ، افلا نجد في ايامنا من ابناء سلاطين آل عثمان ومن حاشية
قياصرة الروس الذين شنت السياسات شملهم في البلاد من يشتغل باحقر الصناعات حتى
لا يموت من الجوع ، افلا نجد من اصحاب النعم رجالا لا يعلم الا الله مقادير اخلاقهم الفاسدة ،
انا لا اريد ان اقول ان المتنبي نشأ الملك في بيته قديماً ولكني لا اعتقد انه وضع ولا
اريد ان اعتقد انه كان يعترف بوضاعته .

اما وقد فرغت من الكلام على نسب ابي الطيب . فلننظر الى اهله في عصره واياه
فقد اشار في شعره الى امه وإلى جدته .

اما جدته فقد كان غالباً عنها في افطار الشام ، وطالت غيبته هذه ، وقد ارسلت
اليه كتاباً تشكو فيه شوقها اليه . وطول غيبته عنها . فتوجه نحو العراق ، ولم يمكنه
دخول الكوفة على حالته تلك ، فانحدر الى بغداد وكانت جدته قد بشت منه ، فكتب
اليها كتاباً يسألها ان تسير اليه فقبلت كتابه وحثت لوفتها سروراً به وغلب الفرح على
قلبا فقلها فرثاها بقصيدة ملاًها من رقة العاطفة وصدقها ما تكلم فيها في اثناء كلامي على
شعره وفي هذه القصيدة ابانت تدل على شدة محبة جدته اياه . وعلى شدة محبة اياها
فن قوله في حبها اياه :

لك الله من مفاجوة بحبيبها قتيلة شوق غير ملحقة وصما

ومن قوله في حبه اياها :

احن الى الكأس التي شربت بها واهوى لما رواها التراب وما ضما
ولا بعد ان جدته كانت تقرأ فكانت تشجب من خط كتابه اليها ومن لفظه :
تجب من خطي والفظي كأنما ترى بحروف السطر اغربة عصما
وتلثمه حتى أصار مداده محاجر عينها وانياها سما
وقد وصفها بالحزم فقال :

فوا أسفا الا اكب مقبلا لرأسك والصدر الذي ملثا حزما
واني أعتقد ان ابا الطيب قد توارث عن جدته هذه بعض صفاتها من جملتها هذا الحزم .

واما أمه فلما اعتقل وطال اعتقاله كتب الى الوالي ابناً أشار فيها اليها :
 يهدي اليها الامير الارب لا شيء الا لاني ضريب
 او لام لها اذا ذكرني دم قلب في دمع عين يذوب
 وفي هذا البيت عاطفة الامومة والبنوة ولما كان في ارجان عند ابن العميد عمل شعراً
 سيفي ابن العميد قال له سيفي جلته :

يا ليت باكية شجاني دمعها نظرت اليك كنانظرت فتندرا
 ولكننا لا نعرف هذه الباكية التي بكث على فراق ابي الطيب وأحزنه دمعها .
 وكان له ابن اسمه محمد صحبه الى بلاد فارس ويظهر ان محمداً كان شاعراً . نقل
 صاحب الصبح المنبي عن ياقوت ان المتنبي كان جالساً بواسطة فدخل عليه رجل وقال :
 نريد ان تجيز لنا قول الشاعر :

زارنا في الظلام بطلب سترنا فافتضحنا بنوره في الظلام
 ورفع ابو الطيب رأسه وكان محمد واقفاً بين يديه وقال :
 يا محمد قد جاءك بالشمال قائم باليمين فقال محمد ارتجالاً :

فالتجأنا الى حناديس شعر سترنا عن أعين الاوام

وفد قرأ الشيخ اليازجي انه وجدت له في احدى نسخ الديوان أبيات بعد فواره من
 مصر يظهر فيها شوقه الى ابنه محمد والى شيخ يقال له الحسين ، من هذه الابيات :

لولا محمد بل لولا الحسين لما رأيت رأيي بومن العزم مختلطاً
 مذهبواي وذابني خط مسكن ذا بمصر والشام التي دائماً خططا

والابيات كلها ثمانية وفيها اشارة الى هرب ابي الطيب من مصر ولكنها لا تخلو من
 تحريف اذا صححت امام محمد الوارد اسمه فيها فقد يجوز ان يكون محرفاً عن محمد وامام الحسين
 فقد يجوز ان يكون شيئاً له وعلى كل الرواية غامضة .

هذا كل ما حققته من نسب المتنبي ومن اهله في عصره وایامه ، وامامات متعلق بزوجه
 وبقية اهله فهو خاف علينا . د. شق : في ٢٥ كانون الثاني سنة ١٩٣٠

جامع التواريخ

« او نشوار المحاضرة المسمى باخبار المذاكرة »

— ٥ —

قال ابو الحسين فكنا في بعض الليالي بحضرة ابن الفرات وهو يعمل
وانا مع ابي والمجلس حافل . حتى قرأ كتاباً من صاحب بريد الموصل يذكر
فيه ان ابا احمد هذا قد بسط (١) في الاعمال واظهر من المروءة امراً عظيماً
وركب باللبود الطاهرية وبعده حجاب وغلان حتى انه يسير معهم في موكب
وانه ورد معه من الزواريق (٢) والجل التي تحمل اثقاله شيء كثير . وان
هذا ما لا يحتمله رزقه وانما هو من الاصل . فرمى بالكتاب الى ابي القاسم
زنجي الباقي الى الآن . وكان اذذاك حدثاً يخط بحضرة . وقال له وقع عليه
ليكتب اليه ويعرف انه تقع الرجل من حيث تعتمد ضره . لانه اذا كان
في مثل هذا الصقع عامل وجيه جليل كثير التجميل والهيبة والمروءة
صاح ان يبادر به السلطان الى مصر واجناد الشام متى انكر على عماله امراً .
لان هذه النواحي لاتصلح الا لمن كان حسن التجميل والمروءة كثير النعمة .
ثم أقبل على من في مجلسه فقال حدثنا ابو القاسم عبيد الله بن سليمان ان
المعتضد رفع اليه خبر رقعة النوشجاني صاحب بريده يذكر فيها : ان الاخبار

« ١ » م . ع ؛ لعله تبسط او بسط يده . « ٢ » م . ع ؛ لم نجد الزواريق واحداً
الزوارق جمع زورق وهو القارب .

ذاعت ببغداد بان حامد بن العباس لما دخل فارس متقلداً فيها لعمالتها دخل
ومعه عدد كثير عظيم من الغلمان والحاشية قال فتجريت لما دفع الكتاب
اليّ وخفت ان يكون قد انكر ذلك ويقع له ان هذا اصطلام (١) المال .
ودخلني فزع منه فلم ادر باي شيء أجيب . فقال لي : يا ابا القاسم وقد كان
كناه اول ما استوزره . وكان يتكنى على الناس الا على بدر وصاحب
خراسان . وكان هو وبدر يتكاتبان بالكاف والدعاء بينهما سواء . قال لي المعتضد
يا ابا القاسم قرأت الكتاب . فقلت نعم . فقال قد سرني ما ذاع من مروءة
حامد وهيبته بذلك في نفوس الرعية . فكم رزقه ؟ فقلت الفان وخمسمائة
دينار في الشهر . فقل اجمالها ثلاثة آلاف ليستعين بها على مروءته . قال ثم
قال ابو الحسن بن الفرت عقيب هذا وقد فعل المعتضد قريباً من هذا مع
ابي العباس احمد بن بسطام . فان المعتضد طالبه بعجز ضمانه واسط وحبسه
في دار ابن طاهر وألزم سبعين ألف دينار يومئذها . فكان يصححها (٢)
على جميل وهو يوكل به من قبل المعتضد في دار ابن طاهر . وأصحاب عبيد الله
يطالبونه ويقتضون المال ، فكتب النوشجاني صاحب الخبر فيه انه كان
يفرق في ايام ولايته في كل شهر عشرين كراً خنطة ودقيقاً على حاشيته
وعلى المستورين والفقراء . وانه فرق في هذا الشهر الا كرا على رسمه
ولم يقطعها وهو مع ذلك يماطل باداء ما عليه . فلما دخل عبيد الله على

«١» م ، ع : اي استئصال . «٢» م . ع : كذا في الاصل وفي التاج صحيح الحساب

المتنضد اراد الرقعة . فسكت عبيد الله فقال له المتنضد : قد سرني هذا لان ابن بسطام رجل مشهور بعظم المروعة وكثرة المعروف وقد جملنا بما قد فعله حين لم يظهر ان ما قد الزمناء أحوجه الى الزوال عن عادته في المعروف فكم بقي عليه قال بضعة عشر الف دينار فقال اسقطها عنه ورده الى عمله وعرفه إجمادي ما قد فعله . فامتثل عبيد الله ذلك .

حدثني ابو الحسين قال سمعت ابا عبد الله احمد بن محمد بن بدر بن الاصمغ يحدث ابي قال كنت اتصرف مع سليمان بن وهب لقراءة كانت بيننا من جهة النساء وكانت حالي بصحبته في نهاية السعة حتى انه كان يطحن الزعفران في داري كما يطحن الناس لدقيق الكثرة ما كان يجيئنا من الجبل ونستعمله ونهديه . فولي سليمان ديوان الخراج فكنت احد عماله فيه فوقعت بيني وبين انه عبيد الله نقرة فلزمت منزلي اياماً قد شعرت الا برقعة الحسن ابن محمد يستدعيني وهو يتولى ديوان الضياع وكانت بينهما ممدطة (١) فضيت اليه فقال لي انت معطل ولا تصير الي وقد انفصل ما بينك وبين ابي ايوب فقلت يا سيدي كيف انفصل ما بيننا مع القرابة والكن بيننا عتب . فقال دع ذا عنك انت معطل وما تبرح . قال واراد اجتذابي من جنبته وكان الناس اذذاك يتغايرون على الكفاة فقلدني اعمال السيب (٢) الاسفل وقسين (٣) وجبيل (٤)

١٦٠ م.ع : منازعة . ١٦١ م.ع : السيب كورة من سواد الكوفة وهما سيبان اعلى واسفل . ١٦٢ م.ع : قسين كورة من نواحي الكوفة . ١٦٣ م.ع : حبل اسم لاماكن كثيرة منها جبل قرب فيد وفيد بريدة في نصف طريق مكة من الكوفة ولمها محرقة عن جبل (بفتح الجيم وضم الباء المشددة) وهي بلدة بين النعمانية وواسط .

وكانت تجري في ديوانه فقبلتها وخرجت اليها، وكان الارز قد قارب الادراك فقدرته وعدت الى سر من رأى لاشرح له حال التقدير واستأمره في العمل فلما بصرتي قال قد قدمت على فاقة مني اليك قد تأذيت بالفلاحين واريد لهم عشرة آلاف دينار سلفاً لما يقيمونه من جبل ياسورين (١) من الشلج فقلت له الارز خافور (٢) وما بلغ الى ان يجرز فقل لا بد من ان تستفرغ جهدك وحيلتك في هذا حتى تخفف عني، وكان اول خدمة فاحتجت ان اضرب (٣) لاصنع (٤) نفسي عنده فخرجت مفكراً فيما عمله فلا قبالي لقيني رجل من وجوه التجار في الطريق وكانت بيننا مودة وكان موسراً وكان جميع متجره غلات السلطان فبداني على تركي مهابته شيئاً بالاسلاف من غلات عملي فاجتذبه الى منزلي وقلت اليك فاحتني (٥) ولو رأيتك ما عدت عنك، قال فاقام عندي يومه ولم ازل حتى بعته حساب الكر الارز المعدل بسبعة دنانير وكنت قد قدرت الحاصل فيه للسلطان ثلاثة آلاف كر معدل واستثنت عليه في كل كر ديناراً وأخذت خطه بضمانه تعجيل عشرة آلاف دينار لمن يؤمر بادائها اليه ورحت الى دار الحسن بن مخلد فوجدته نائماً والناس مطرحون في داره، ثم دخلت اليه وشرحت له الصورة فسر بها وأمر باحضار صاحب مجلس النفقات في الديوان وسلم لرقعة اليه وقال أحل الفلاحين على هذا التاجر، فلما خلا مجلسه تقدمت اليه وعرفته خبر الاستثناء واريته الخط وفت

«١» م. ع: ياسورين موضع فوق الموصل يقال له البلد. «٢» م. ع: الخافور نبت كالزوان ولعله يريد ان الارز في حالته الحاضرة كالخافور. «٣» م. ع: اكتسب. «٤» م. ع: اي اجدها. «٥» لعله سقط: بك.

لى من اسلم المال اذ قبض فلم يجني فالحجت عليه فقال لى يا هذا انك صحبت قوماً لا مروءة لهم فتمودت منهم ان يطعموا نفوسهم لى (١) مضايقة خدمهم فى هذا القدر وما هو اقل (٢) منه واذا اخذت انا هذا المرفق فانت لم تخدمنى وتبمنى خذ هذا واصالح به حالك لىبين عليك اثر خدمتك لى . فقبلت يده ورجله وعدت الى عملى واستخرجت المال ودبرت العمل . وحضر بعد مديدة النوروز وقد كنت مذخرجت من حضرته سألت ثقات اخوانى من التجار فى الاسواق ان يجمعوا لى كل علق حسن غريب طريف مثنى (٣) من فرش ديباج مثقل وابى قلمون مذهب ووشى وديقى (٤) مرتفع وقصب . قال فجمع لى من ذلك ما كان شراءه ٥٠٠ خمسة آلاف دينار وهو يساوى اكثر منها بكثير ثم كتبت اليه رقعة فى معنى الهدية وتضرعت فى قبولها وتسببت لذلك وكتبت ثبت الهدية فى اسفل الرقعة فكاتب لى فيها لك اكرمك الله بنات وهن الى هذا الحوج منى وقد قبلت ما يصالح قبوله انسا بك وسقاطاً للحشمة معك ورددت اليك الباقي ليكون لهن وكان الذى قبله ثوب قصب و مندبل ديقى وشسته قصب .

حدثني ابو الحسين (٦) قال سمعت نيا عبدالله الباقطاني يقول : وحكى لى ابي ذلك قال ان السجزيه (٧) لما غلبوا على فارس اجلى قوم من اهل

«١» م . ع : الاظهر فى مضايقة خدمهم الى «٣» بالاصل اومه . «٣» م . ع :
 ذى ثمن . «٢» م . ع : ثياب منسوبة الى ديق بلا بمصر . «٥» م . ع : الشرى والشرى
 بمعنى واحد والقصر افصح . «٦» كتاب الوزراء لخلال ص ٣٣٩ . «٧» م . ع : السجزيه
 بالفتح والكسر نسبة الى سجستان اقليم بين خراسان واندلس وكرمان .

الخراج عنها لسوء المعاملة ففضوا (١) خراجهم على الموجودين وسمو ذلك التكملة حتى يكمل به مال قانون فارس كان متقدماً (٢) ولم يزل الحال في ذلك تريد تارة وتنقص أخرى الى ان افتتح ابو الحسن ابن الفرات في وزارته الاولى فارس على يد وصيف ومحمد بن جعفر العبرتي (٣) ومن ضمه اليهما من القواد في سنة ٢٩٨ فأمر ابن الفرات باجراء الامر في التكملة على ما كان جارياً عليه وجرى الامر على ذلك في ايام محمد بن عبد الله الحاقني وفعله علي بن عيسى في صدر وزارته الاولى فلما (٤) مضت منها مديدة صار الى مدينة السلام عبد الرحمن بن جعفر الشيرازي وطعن على محمد بن احمد بن ابي البغل وكان اذذاك يتقلد فارس وذكر انه إن ضمن العمل مكانه وفر حمله (٥) من المال فضمنه علي بن عيسى وانصرف ابن ابي البغل عما كان يتقلده امانة وقلده اصبهان ثم أخرج عبد الرحمن بن جعفر المال واحتج بان اهل فارس يتظلمون من التكملة ولا يلتزمونها . وكان ابو المنذر النعمان بن عبد الله يتقلد ديوان كور الاهواز مجموعة فكتب اليه علي بن عيسى ان يستخاف على اعماله وينفذ الى فارس فيطالب عبد الرحمن بما حل عليه من المال وينظر في هذه التكملة ويشرح امرها . وكتب الى احمد بن محمد بن رستم بان يصير من اصبهان الى فارس ليضمنها وكتب الى النعمان بحل ضمان

«١» م . ع يقال فض المال على القوم فرقه . «٣» م . ع كذا في الاصل واهل اصله .

وكان ، او الذي كان . «٣» م . ع عبرتي قرية قرب الهروان النسبة اليها عبرتي عن

ما يظهر من انتاج ومعجم البلدان . «٤» بالاصل فلما . «٥» م . ع اعمه جملة .

عبد الرحمن وعقد البلد على ابن رستم فاستخرج النعمن التكملة ووجد قطعة منها على عبد الرحمن قد قدر ان يكسرها (١) فمسهه (٢) وباع قطعة من املاكه عليه حتى استوفى ذلك وكتب اليه علي بن عيسى يسأله عن التكملة وان يشرح له امرها وانه قد صار يستضعف (٣) قوم فيلزمون منها اكثر مما يجب عليهم ويرهب قوم فيسأحون بها وبالكثرة فكتب اليه النعمن وابن رستم ان من طرائف ما يجري بفارس ان الناس يطالبون بالتكملة وهي ظلم صراح سنة الخوارج ويترك عليهم ما قد اوجبه الفقهاء وهو خراج الشجر لان فارس فتحت عنوة وليس على الشجر بها خراج وارباب الشجر يذكرون ان المهدي اسقط عنهم خراج الشجر وليس لهم حجة بذلك الا طول مدة الرسم والاصل وجوب الخراج على الشجر فتسامع اهل البلد بالخبر فتبادر اجلاؤهم الى حضرة علي بن عيسى من فارس فدخلوا مجلسه المظالم وفي اكمالهم حنطة محرقة فلما تظاهروا قالوا له تمنع من اطلاق غلاتنا وتعتقل علينا في الكناديج (٤) الى ان تعفن وتصير هكذا ورموا بالحنطة المحرقة من اكمالهم حتى نبيع شعورنا (٥) ونؤدي التكملة الباطلة حتى تطلق غلاتنا وقد احترقت هكذا ورمى قوم منهم من اكمالهم بتيق يابس وخوخ مقدد ولوز وفستق وبندق وغيره (٦) وابق وبلوط وقالوا

«١» م. ع. كذا في الاصل ولعله من اكسرها بمعنى اقتطع. «٢» م. ع. اي ظلمه.

«٣» بالاصل: يستضعف قوم فيلزمون ورواية هلال اصح. «٤» م. ع. جمع كندوج الخزانة الصغيرة والحبة. «٥» عند هلال نفوس وشعور نسائنا. «٦» م. ع. الغبراء شجرة لها ثمر يغبر ثم يحمر ويقال لهذا الثمر غبراء ايضا ويتخذ منه خمر يقال له غبراء ايضا.

هذا كله بلا خراج لقوم آخرين والبلد عنوة فاما تساوينافي الاحسان او الاستيفاء . فخطاب علي بن عيسى في ذلك الخيفة واستأذنه في جمع الفقهاء والقضاة ومشايخ الكتاب ووجوه العمال وجلة القواد ومناظرة القوم بحضرته وتقرير الامر على ما يوجب الحق عند الجماعة والعدل فأذن في ذلك فجمع الناس في دار المحرم التي كانت برسم الوزارة وصيرها علي بن عيسى ديواناً وطالت المناظرات واحتيج من حضر من ارباب الشجر بفعل المهدي وقالوا قد استهلكتم اموالنا في اثمان هذه الاملاك التي لخراج عليها وان الزمت الخراج بطلت القيم وافترقنا فافقتي الفقهاء بوجوب الخراج وبطلان التكملة . وقال الكتاب ان كان المهدي شرط شرطاً لمصلحة في الحال او عنه (١) اعتناه اهل البلاد في جذب او غيرها (٢) ثم زالت المصلحة زال الشرط . فقال علي بن عيسى للقوم اليس عندكم ان ما فعله المهدي واجب؟ قالوا بلى : قال لم أليس لانه امام رأي رأياً ليس فيه مضرة؟ قالوا بلى قال : فذمير المؤمنين وهو الامام الآن قد رأي ان الاحوط للمسلمين والاحفظ للكافة ازام الخراج للشجر وازالة التكملة فقام اليه الزجاج ووكيع القاضي فوصفه وقرظاه . وقال الزجاج لقد حكمت بحكم لو كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه حاضراً ما تجاوزته . وقال وكيع لقد فعل الوزير في هذا كفعل ابي بكر الصديق رضوان الله عليه في مطالبة اهل الردة بالزكاة وانهى علي بن

« ١ » ع : هكذا في الاصل ولعل اصله او عناء اعتناء باهل البلاد الخ اي اهمه اعتناء بامرهم او الاصل عناء تعناء اي فساء الخ . « ٢ » م . ع : الظاهر او غيره .

عيسى والقضاة ما جرى الى المقتدر في يوم الموكب واستأذنه في كتب كتاب باسقاط التكملة عاجلاً الى ان يتقرر امر الشجر فمر بكتب ذلك في الحال بحضرته واحضر قنّداً من قواد الحضرة كان يخاف بدراً الكبير المعروف بالحمامي عامل المعاون بفارس وكرم ناسلم اليه الكتاب ويطلب النعمن وابن رستم بامثاله . وامر الخليفة باحضار دواة يكتب بها علي بن عيسى وكان رسم الوزراء اذا امر بكتب كتاب بحضرة الخليفة ن تحضر لهم دواة لطيفة بسلسلة فيمسكها اوزير بيده اليسرى ويكتب منها باليمنى فاحضرت تلك الدواة لعلي بن عيسى وبدأ يكتب منها الكتاب بغير نسخة فله رآه المقتدر وقد شق عليه ذلك مر باحضار دواته وان يقف بعض الخدم فيمسكها الى ان يكتب . فكان اول وزير اكرم بهذا ثم صار ذلك رسماً جارياً للوزراء بحضرتهم فكتب علي بن عيسى في ذلك كتاباً الى النعمن وخرجت نسخته الى الديوان واثبت فيه قول ابو الحسين فحفظناه ونحن احداث ونسخته :

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين الى النعمن بن عبد الله : سلام عليك فان امير المؤمنين محمد اليك الله الذي لا اله الا هو ويسأله ان يصلي على محمد عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم كثيراً . ما بعد فان فضل الاعمال قدراً واجماً ذكرها واكملها اجراً ما كان لائق جازماً وللهدي تابعا وللورى نافعا (١) وللهوى دفعاً وقد جعل

الله عز وجل امير المؤمنين فيما استرعاه من امور المسلمين مؤثراً ما يرضيه صابراً (١) على ما يرافقه عنده ويحظيه ، وما توفيق امير المؤمنين الا بالله عليه يتوكل وبه يستعين . وقد عرفت حال السجنية والحرمية الذين تغلبوا على كور فارس وكرمان واحدنوا الجور والعدوان ، وظهروا العتو والطغيان ، وانتهكوا المحارم ورتكبوا المظالم ، حتى انفذ امير المؤمنين جيوشه اليهم وتورد بها عليهم ، فازالهم وبادهم وشتتهم وبارهم ، بعد حروب تواصلت ، ووقائع تتابعت ، احل الله بهم فيه سطوته ، وعجل لهم نعمته ، وجعلهم عبرة للمعتبرين ، وعظة للمستتمين ؛ « وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذهم شديد » ، ولما محق الله امره هو لاء الكفار ، وفرق عدو وبارهم الفجار ، وجد امير المؤمنين افطع ما اخترعوه واشنع ما ابتدعوه في مدتهم التي طال امددها وعظم ضررها ، تكلمة اجتبوها (٢) بكور فارس في سني غوايتهم لما طالبوا اهلها بالخراج على وفر عبرتهم من غير اقتصاد به على الموجودين حتى فضوا عليهم خراج ما خرب من ضياع المفقودين فانكر امير المؤمنين ما استقر من هذا الرسم لذيهم ، واكبر ما استمر به من الظلم العظيم ، ورأى صيانة دولته عن قبيح معرته وحر استرعائه ، من عظيم مضرته مع كثرتة ووفور جلته ، فرفع عن الرعية هذه التكملة رفعا مشهورا ، وقد جعل الله تعالى من سنها مدحورا ، ونادى في المساجد الجامعة بازائها وابطال جبايتها ليرتفع (٣) ذلك في الجمهور ويتمكن السكون اليه في الصدور وتحمد

«١» عند هلال مشأراً «٢» م ، ع : الاجتهاء افعال من الجباية «٣» عند هلال ليدبع

لله الكفاية على ما تأخه لها من تعطف مير المؤمنين ورعايته وجميل حياضته لهم وعنايته . واكتب ما يكون منك في ذلك فان امير المؤمنين يتوكفه ويراعيه وبشوفه ان شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم النصف من رجب سنة ٣٠٣ .

وقد كان علي بن عيسى قبل ذلك بسنة نظر لاهل التكملة من جملتها في شيراز بعشرة آلاف درهم^(١) قبل ان يخرج في السنة المقبلة خراج اشجر ثم تقرر امر الشجر على ان يؤخذ منه الخراج ويقارب اهله فيه على طسوق^(٢) توضع لهم مخففة . وكان النعمن رفيقاً يقاربهم حتى عاد بازاء ما سقط من مال الضمان في التكملة . كثره على التدرج . فكتب علي بن عيسى في امر الشجر كتاباً كنا نحفظه^(٣) في الحداثة من الدار نسخته الى ابن رستم لان النعمن عاد الى بغداد واستخلف بفارس ابا مسلم محمد بن محمد وضمن البلد من ابن رستم وجعل با مسلم مستوفياً عليه للمال . بسم الله الرحمن الرحيم الى احمد بن محمد بن رستم من عبد الله جعفر الامام المقتدر بالله امير المؤمنين والنسخة واحدة الى قوله اما بعد فان الله بعميم آلائه وقديم نعمائه وجميل بلائه وجزيل عطائه جعل اموال النبي للدين قواماً وللاحق نظاماً وللعز تماماً فواجب للائمة حمايتها وحرم عليهم اضعائها

«١» عند هلال : بالف الف درهم . «٢» م . ع : في القاموس الطسق بالفتح مكبل او ما يوضع من الخراج على الجربان او شبه ضريبة معلومة . «٣» م . ع : تحفظ الكتاب استظهره شيئاً بعد شيء .

إذا كان ما يجتبي منها عائداً بإصلاح العباد وحراسة البلاد وحماية البرية وحيطة الخوزة والرعية ولذلك يعمل أمير المؤمنين فكره ورويته ويستفرغ وسعه وطاقته في حراستها وحياطتها وقبض كل يد عن تحيفها^(١) وتقصها والله ولي معونته على جميل نيته وحسن طويته بمنه ورحمته . ولما فتح الله عز وجل (كور فارس) على المسلمين وأزل عنها أيدي المتغلبين وجد أمير المؤمنين أهلها قد احتالوا في إسقاط خراج الشجر بأسره مع كثرتهم وجلالة قدره ومر بأشخاص وجوههم إلى حضرته واتصت المناظرة لهم بمشهد من فضائه وخاصته إلى أن اعترفوا به مذعنين والتزموه طائعين وضمنوا أداء ما أوجبه الله تعالى فيه من حقوقه على ما تقرّر معهم من وضائعه^(٢) وطسوقه فتنطاب بخراج الشجر في سائر الكور على استقبال سنة ٣٠٣ فاستخرجه واستوفى جميعه واستنظفه وأكتب بما يرتفع من مساحته ويتحصل من مبلغ جبايته متجراً للحق متوخياً للرفق أن شاء الله والسلام عليك ورحمة الله وبركاته . وكتب علي بن عيسى يوم الاثنين لعشر ليال خلون من شعبان سنة ٣٠٣ .

حدثني أبو الحسين قال حدثني أبو الحسين عبد الواحد بن محمد الحنصيني^(٣) وهو ابن بنت إبراهيم بن المدبر . قال حدثني أبو الفضل صاعد

«١» م . ع : تحيف الشيء تنقصه من حيفه أي نواحيه جمع حيفة . «٢» م . ع : جمع وضعية وهي ما يأخذه السلطان من الخراج والمشور . «٣» م . ع : بفتح الحاء كما في التاج .

ابن هارون بن مخلد بن بان قال حدثني عدة من جلة الكتاب عن كاتب كان يخط بين يدي المورياني (١) وهو وزير المنصور قال كنت يوماً بحضرته على خلوة فدخل عليه حاجبه وقال بالباب رجل يذكر انه يريد ان اقي اليك شيئاً مهماً قال اسمع منه ما يقوله وادّله لي قال قد سمته ذلك فاني وبذات ان اخرج اليه كاتباً فامتنع من ذلك وقال اما ان اصل اليه او انصرف . قل فما زيه ؟ قال زي التند . قل هاته فادخله فبما وصل استأذنه في السرار فاذن فدنا اليه فاطال سراره ثم دعا بخازنه فقال خذ ما يدفعه اليك . ثم قال لي قم فكتب له بكلمة يريد على ملائه وان لتمس توقيعني في شيء منه فانفذه الي مع غلامك . قال فقلت فكنت له بما املاه وعدت وعرفته ازاوتي عنه فيما طلبه فجعل يبكي بكاء شديداً فسألت غلامه هل ورد بعدي شيء يكرهه فقالوا لا . فقلت يا سيدي ما هذا البكاء وكنت آتياً به فقال ان هذا الرجل اقيني منذ اكثر من سنة انه من بني البختكاني وذكر كبر نعمته واثابهم عارف . ووصف ان العمال يخيفونه ويستضعفونه وسأني ان اوقع سمي على ضيعته واظهر اني قد استأجرتها منه واكاتب العمال ووكلائي بذلك وان تقد يده منها اذ كنت قد وثقت به على ذلك وبذل لي النصف من ارتفاعه بعد المؤونة حلالاً فوافقته على ذلك وكتبت له بما اراد ومضى ولم تبغ نفسي الاستقصاء

«٣» م . ع : نسبة الى موريان قرية من نواحي خوزستان واسمه سليمان ابن ابي سليمان ابن ابي بجالد وقتله المنصور .

عليه ولا الاستظهار ولا مضايقته وقات اعلمه اراد الانتفاع بجاهي فلا
احرمه اياه فان وفا (١) والا كان ذلك من زكاة الجاه ثم انسيت امره
فما ذكرته حتى رأيت الساعة فاعلمني انه يتردد منذ مدة الى الباب فلا يصل.
واعلمني انه قد حصل لي من ذلك مائتا الف درهم وواقفني (٢) على حساب
رفعه واستأذنتني في تسليم المال وسألني تجديد الكتب بمثل ما كنت كتبت
به اليهم في السنة الماضية في امر هذه الضياع فتقدمت الى خازني بقبض
المال وتقدمت اليك فكتبت عني بذلك فانا ابكي لهذه الحال. فقلت له
يا سيدي فاي شيء هذا مما يبكيك فقال ويحك ويذهب هذا عليك مع
طول ملازمتي وخدمتي قد كنت عندي انك تحنكت بخدمتي. امرؤ يكون
هذا من اقباله فكيف يكون ادباره؟ قال فما بعد ان قبض عليه المنصور ونكبه
واستصفى ماله واموال اهله وقتله. قال ابو الحسين عبد الواحد بن محمد
فحدثت بهذا الحديث ابا الحسن علي بن محمد بن القرات واما الحسن علي بن
عيسى كبل واحد على الانفراد في وقت مفرد فبكل واحد منهما افرط في
استحسانه حتى سأل ان امليه عليه فكتبته عني بخطه • «للبحث صلة»

(١) م. ع. كذا في الاصل والصواب وفي (٢) م. ع. كذا في الاصل والفصح
وقف بغير الف في جميع معانيها •

أسامة بن منقذ

- ٢ -

« أسامة في وادي موسى »

لقي أسامة ضيقاً شديداً في وقعة كانت بينه وبين الفرنج قتل فيها ابنه حسام الملك وأسر ابنه ناصر الدين وأخوه نجم الدولة أبو عبد الله محمد وأخذت خزائنه وحرمه وقتل الفرنج كل من ظفروا به ، وهو بمن معه تحصن في الجبال .

بقول أسامة : فسرنا في اشد من الموت في بلاد الفرنج بغير زاد للرجال ولا علف للخيول الى ان وصلنا جبال بني فهير لعنهم الله في وادي موسى وطلعنا في طرفات ضيقة وعرة الى ارض فسيحة وهناك رجال وشياطين رجيمه من ظفروا به منا منفرداً قتلوه وتلك الناحية لا تخلو من بعض بني ربيعة الاسراء الطائفين فسألت من هاهنا من اسراء بني ربيعة قالوا منصور بن عذقل وهو صديقي ودفعت لواحد دينارين وقلت له امض الى منصور قل له صديقك بن منقذ يسلم عليك وبقول لك صل اليه بكرة ، ثم جاء منصور بن عذقل فصاح بالاعراب وسبهم فنفروا وقال اركب فركبتنا وجمعت للامير الف دينار مصرية ودفعتها له وعاد وصرنا حتى وصلنا دمشق بمن سلم من الافرنج وبني فهير يوم الجمعة خامس ربيع الآخر من السنة نفسها .

« اول وقائعه »

سيره ولده الى أفايميا سنة ٥١٣ لقتال الفرنج الخيحمين بها وكان الانصار حليفه يقول أسامة في وصف هذه الحملة فرجعت على فارس في اولم قد التي عنه درعه وتحنف ليخوزنا من بين ايدينا قطعته في صدره فطار عن سرجه ميتاً ، ثم استقبلت خيلهم المنيابة فولوا وانا غرما حضرت قتالاً قبل هذا اليوم وتحوي فرس مثل الطير ألحق أعقابهم لأطعن فيهم ، ثم أجنت عنهم وسبق آخرهم فارس عن حصان أدهم مثل الجمل بالدرع ولامة الحرب ، انا خائف منه لا يكون جاذباً لي ليعود علي حتى رأيت ضربه حصانه بمهازه فلو تح بذابه فعلت انه قد أعيا فحملت عليه وطمعته فنفذ الرمح من قدمه فحوا

من ذراع وخرجت من السرج خلفه جسمي وقوة الطعنة وسرعة الفرس ، ثم تراجعت وجذبت رمحي وأنا أظن الي قتلتني ، فجمعت اصحابي وهم سالمون وكان معي مملوك صغير بجرّ فرسا لي دهماء بجنوبة وتحتة بغلة مليحة سرورية فنزل عن البغلة وسبّحها وركب الحجرة فطار به الي شيزر ، فلما عدت الي اصحابي وقد أمسكوا البغلة سألت عن الغلام فقالوا راح فعلت انه يصل الي شيزر ويشغل قلب والده ، فدعوت رجلاً من الجنود وقلت أسرع الي شيزر وعرف والدي بما جرى ، فذهب فوجد الغلام يقصّ علي والده الحالة ، ولما عاد أسامة قصّ عليه القصة .

« اقامته على عسقلان في قتال الفرنج »

أرسل الملك العادل أسامة للسير الي الملك العادل نور الدين الشهيد وقال له خذ معك المال المطلوب وامض اليه لينازل طبرية ويشغل الفرنج عنا لنخرج من هاهنا نخرب غزّة ، وكان الفرنج قد شرعوا في عمارة غزّة ليحاصروا عسقلان . فقال له أسامة : فان اعتذر او كان له من الاشغال ما يعوقه فأني شيء تأمرني به . فقال : ان نزل على طبرية فأعطه المال الذي معك وان كان له مانع فدوتن ما قدرت عليه من الجند واطلع الي عسقلان أقم بها في قتال الفرنج واكتب اليّ بوصولك لأمرك بما تعمل ودفع اليه ستة آلاف دينار مصرية وحمل حمل ديبقياً ورتب معه قوماً من العرب ادلاء .

« في طريقه الي عسقلان »

يقول أسامة فلما دنونا من الجفر قال لي الأدلاء هذا مكان لا يكاد يخلو من الفرنج فأمرت اثنين من الادلاء ركبا مهربين وسارا قدامنا الي الجفر فوقفت وجمعت الجمال التي عليها ثقلي ورددتها الي العرب وندبت ستة فوارس من ممالكي وقلت لقدمونا وانا في أثركم فساروا يركضون وأنا أسير خلفهم فعاد اليّ واحد منهم وقال ما على الجفر احد ولعلمهم أبصروا عرباً ولنازع هو والأدلاء فنفذت من رد الجمال وسرت فلما وصلت الجفر وفيه مياه وعشب وشجر ، قام من ذلك العشب رجل عليه ثوب أسود فأخذنا ونفرق اصحابي فأخذوا رجلاً آخر وامرأتين وصبيين نجاءت امرأة منهم أمسكت ثوبي وقالت يا شيخ انا في حسبك ، قلت انت آمنة مالك ؟ قالت فداخذ اصحابك لي ثوباً وناهقاً وناجياً وخرزة فقلت اغلاني من كان اخذ شيئاً فليرده فردت هذه الاشياء اليهم ، جمع هؤلاء

أسامة حين رأى بهم من الضر ما رأى وقد ببست جلودهم على عظامهم ، وسألهم من اين انتم ؟ فقالوا نحن من بني أبي وبنو أبي فرقة من العرب من طي لا يأكلون الا الميتة ويقولون نحن خير من العرب ، ما فينا مجزوم ولا أبوص ولا أعمى ، واذا نزل بهم الضيف ذهبوا له وأطعموه من غير طعامهم ، ثم سألهم كم لكم هنا فقالوا من عيد رمضان مارأينا الزاد باعينا ، قلت : فمن اين تعيشون ؟ قالوا : من الرمة (يعنون العظام البالية) الملقاة ندقها ونعمل عليها الماء وورق القطف (شجر بثلث الارض) وننقرت به ، قال : فكلاكم قالوا : الكلاب نطعمها من عيشنا والحمر تأكل الحشيش ، فقال : فلماذا لاتدخلون الى دمشق ؟ قالوا : خفنا الوباء (ولاء بلاء أعظم مما كانوا فيه) وكان ذلك بعد عيد الاضحى فوقف حتى جاءت الجمال وأعطي هؤلاء الاعراب من الزاد الذي كان معه ، ثم قطع فوطه كانت على رأسه وأعطاهما المرأتين فكادت عقولهم نزول من فرحهم بالزاد ، ثم أسدى اليهم النسع راغباً عدا قامتهم في هذا المكان خوفاً عليهم من ان يسبهم الافرنج .

« وقوعه في التيه »

وقع أسامة في تيه اثناء محيئه الى نور الدين الشهيد في بصرى ولولا لطف الله لمالك في هذا التيه وقد وصف تيهه وصفاً بطول شرحه هرب منهم البغل في اثناء رحلته هذه وعليه اربعة آلاف دينار فلحقه بفرسه فأعيا عن اللحاق به وقد كان لحقه الغلام ايضاً فعاد بالخروج دون البغل قائلاً يامولاي وجدت الخرج ولم اجد البغل فقال للخروج كنت اطلب والبغل اهون مفقود .

« صيده وقنصه »

كان أسامة ولوعاً بالصيد والقنص كما ولع به ابوه من قبله فقد كان والده ليس له شغل سوى الحرب وجهاد الافرنج الصليبيين يركب الى الصيد يوماً ويستريح يوماً ، نسخ عند فراغه ستاً واربعين مصحفاً يخطه منها ختمان بالذهب جميع القرآن وكان صواًماً قوَّاماً . كان لأسامة في شيزر متصيدان متصيد للحجل والارانب سيف الجبل قبلي البلد ، ومتصيد لطير الماء والدراج والارانب والغزلان على النهر سيف الازوار من غربي البلد ، وكان يتكلف في تسخير قوم من اصحابه الى البلاد لشراء البزاة فأتقذ الى القسطنطينية من احضر منها بزاة وقد حمل الغلمان معهم من الحمام ما ظنوا انه يكفي البزاة التي معهم

فغدير عليهم البحر وتعرفوا ولم يبق من لحوم الطير فاضطروا ان يطعموا البزاة من لحم السمك
فأثر ذلك في اجتماعها وصار ريشها ينكمس وينقص فلما وصلوا بها الى شيزر كان فيها
بزاة نادرة وكان لدى والده خادم (بازيار) عارف في اصلاح البزاة وعلاجها يقال له
غنائم فوصل اجتماعها واصطادها وقرنص بعضها عنده وكانت اكثر ما يستدعي البزاة
ويشترها من وادي الاحمر ، وحسبنا ان نلج الى صيده وقتضه الماءا ضاربين صفحا عن
كل ما وقع له في صيده وتربيته البزاة .

« صيده مع الملوك والامراء »

حضر الصيد مع والده مرشد بشيزر في صدر العمر ومع ابنائه عمه بها ومع ملك
الامراء اتابك زنكي بن آق سنقر .

ومع الملك العادل نور الدين ابي المظفر محمود بن اتابك زنكي رحمه الله ، وبديار
بكر مع الامير نحر الدين قرا ارسلان بن داود بن ارتق .

« ادب أسامة وشعره »

أسامة ادب كما اسلفنا تلمس من شعره الجزالة والسهولة لم يستعمل عوبص الالفاظ
ولا وحشي الكلام مدح في شعره وعتب وبكى وتغزل وحرض ونحر وحن الى الاوطان
حنين الابل الى الاعطان حتى انه ضرب في كل فن وتناول طرفاً من كل علم ، وله ديوان
شعر في مجلدين لم اعثر عليها بالرغم عن كثرة بحثي وتطلعي ولكفي لم اعدم الحصول على
شيء كثير منه في اثناء مطالعتي الكتب وتصفحني اياها ومن جملة ما عثرت عليه كتاب
العصا وهو في نحو مائة وخمسين صفحة نسخته على نسخة طبعت في باريز كنت اوصيت
عليها صديقي الحميم ورفيق الدراسة المرحوم الدكتور صالح قنباذ وانا اليوم آخذ بتصحيحها
وضبطها وشرحها وزيادة ما عثرت عليه في العصا حتى يجي الكتاب جامعا وافيا بالمرام .

« تلف من شعره »

وقعت نفرة بينه وبين ابن عمه صاحب شيزر لمقالة بلغته فكان ينظم في العتاب ما هو
مستطاب . وما كتبه لابيهِ يدل على كرم محتده وسامي أخلاقه وعظيم خلاله قوله :

وما أشكو تلوث اهل ودي ولو أجدت شكيتهم شكوت
مللت عتابهم ويشت منهم فما أرجوم فيمن رجوت

إذا أدمت قوارصهم فؤادي صبرت على أذاهم وانطويت
وجئت اليهم طلق الحيا كافي ما سمعت ولا رأيت
تجدوا لي ذنوباً ما جنتها بدائي ولا أمرت ولا نهيت
ولا والله ما أضمرت غدرأ كما قد أضمره ولا نويت
ويوم الحشر موعدا وتبدو صحيفة ما جنته وما جنت
وله أيضاً يشكو من الهجران :

لا تسعرج ليداً على هجرانهم فقواك تضف عن صدور دائم
واعلم بانك ان رجعت اليهم طوعاً والا عدت عودة راغم
وله قصيدة سير بها الى ابن عمه صاحب شيزر بعثذره عن قول بلغه عنه جاءت
على قافية الفاء تبلغ خمسين بيتاً مطلعها :
أطاع ما قاله الواشي وما صرفا فراح يذكر مناس كل ما عرفا
ومما أحفظه له ينشوق الى اهله وصحبه ويحن فيه الى وطنه وهو من الشعر المنسجم
الذي يدخل الأذان بغير استئذان :

ما يربد الشوق من قلب معني ذكر الآلاف والوصل لخصا
حسبه من شوقه ما عنده وكفاه من هواه ما اجنسا
كنا شاهد شمالاً جامعاً طار وجداً وهفا شوقاً وانا
فرتي من رحمة عاذله ورأى الخاسد فيه ماتني
ويجه من حرق تعناده وهموم حمة تطرق وهنا
يا زمان الوصل سقيالك من زمن لو كان قرب الدار عنا
قل لأحباب نأت دارهم وعلى قريهم أفرع سنا
ساء ظني باصطباري بعدكم ولقد كنت بكم أحسن ظنا

« وصف الزلزلة الكبرى في شيزر وحماة »

في سنة ٥٥٢ كان بالشام زلزلة شديدة ذات رجفات عظيمة منابعة اخربت البلاد
واهلكت العباد وكان اشدها بمدينة حماة وحصن شيزر كما قال ابن الاثير فانها خربا
بالمرة وخرب ما جاورهما كحصن بارين والمرة وغيرهما من البلاد وهلك تحت الردم

من الخلق ما لا يحصيه الا الله ولولا ان بين الله تعالى على المسلمين بنور الدين فيصلح ما تهدم ويحفظ البلاد لهلك البقية الباقية منهم واصبحت لقمة سائغة في فواه الفرنجة . ومن غريب ما يروى ان بعض المعلمين يجاهة ذكر انه فارق المكتب لمهم فجاءت الزلزلة فاخربت الدار وسقط المكتب على الصبيان جميعهم قال المعلم فلم يأت احد يسأل عن صبي كان له في المكتب مما يدل على ان الزلزلة اخذت اولياءهم ايضا .

في هذا الزلزال سقطت قلعة شيزر على آل منقذ ولم يبق على احد منهم اللهم الا امرأة اخرجت من الردم ، وما يروى انه بينما كان احد ابناء آل منقذ فاراً من الزلزال حتى اذا وافى باب القلعة رجع الحصان فأت لوفته وبهذا لم ينج احد من آل منقذ الذين هم داخل القلعة ، اما المرأة التي اخرجت من الردم فهي زوجة ابي الفضل اسماعيل بن ابي العساكر بن علي بن مقلد تدعى الخاتون اخت شمس الملوك بنت بوري بن طغتكين ولما جاء نور الدين الشهيد الى استلام شيزر طلب من هذه المرأة ان تعمله عن المال ومدها فذكرت ان الردم سقط عليها وعليهم ونبتت هي دونهم ولا تعلم بشيء . واذا كان لم شيء فهو تحت الردم وكانت شرف الدولة غائباً فحضر بعد الزلزلة وعان ما فعلت بشيزر واخيه وشاهد امرأة اخيه بعد العز في ذلك الذل فعل :

لبس الصباح من المساء بامثل فأقول لليل الطويل الانجلي
شلت يد الايام ان قسيها ما ارسلت سها فاختا مقالي
لي كل يوم كربة من نكبة يهجي لها جفني وفالي بصطي
باتاج دولة هاشم بل يا ابا التيجان بل يا قصد كل مؤمل
لوعاينت عيناك قلعة شيزر والستر دون نساها لم يسبل
لرايت حصناً هائل المرأى غدا متهيلاً مثل النقا المتهيل
لا يهتدي فيه الساعة لمسلك فكأنما يسري بقاع مهول

وما قاله فيها يذكر امرأة اخيه المذكورة .

نزلت على رغم الزمان ولو حوت يمينك قائم سيفها لم تنزل
فتبدلت عن كبرها بتواضع وتعوذت عن عزها بتذل

«أسامة يرثي أهله»

أسامة رثى أهله الذين هلكوا في هذا الزلزال رثاءً مستقبها وبكاهم كثيراً في شعره
أكتفي بذكر شيء من قصيدته الذونية لأن له مرثي كثيرة بكي فيها ذلك العز الشامخ
بعيون هتانة عطالة وهي :

ما استدراج الموت قومي في ملاكمهم	ولا تخزتهم مشفى ووحدانا
فكنت أصبر عنهم صبر محسب	واحمد الخطب فيهم عزاً ومانا
واقنندي بالورى قبلي فكهم فقدوا	أخاً وكم فارقوا أهلاً وجيرانا
لكن سقيت المنايا وسط جمعهم	رغمًا تغرؤوا على الأذقات اذعانا
وفاجأهم من الأيام قارعة	سقتهم بكؤوس الموت ذيفانا
ماتوا جميعاً كرجع الطرف وانقرضوا	هل ما نرى تارك للحين انسانا
اعزز علي بهم من معشر صبروا	على الحفيظة ان ذلولثة لانا
لم يترك الدهر لي من إمد قددم	قلباً أجشمه صبراً وسلوانا
فلورأوني لقالوا مات اسعدنا	وعاش لهم والاحزان اشقاننا
لم يترك الموت منهم من يخبرني	عنهم فيوضح ما قالوه تيباننا
بادوا جميعاً وما شادوا فواجبنا	للخطب أهلك عمتاراً وعمراننا
هذي قصورهم أمست قبورهم	كذاك كانوا بها من قبل سكانا
ويح الزلازل اغنت معشري فاذا	ذكرتهم خلاني في القوم سكرانا
لا النقى الدهر من بعد الزلازل ما	حييت الا كسير القلب حيرانا
اخذت على معشري الادنين فاصطلت	منهم كهولاً وشباناً وولدانا
لم يحصهم حصنهم منها ولا رعبت	بأساً تبادره الاقارب ازمانا
ان أفقرت شيزر منهم فهم جعلوا	منيع أسوارها بهضاً وخرصانا
هم جموها فلو شاهدتهم وهم	بها لشاهدت آساداً وآخفاننا
ترام في الوغى أسداً ويوم ندي	غيتاً مقيماً وفي الظلماء رهباننا
بتوا الي وبنوا عمي دمي دمهم	وان أروني مناواة وشناننا
يطيب النفس عنهم انهم رحلوا	وخلفوني على الأستار عجلانا

« مراسلاته مع ابن رزيك »

وكانت بينه وبين الصالح بن رزيك مراسلات شعرية ومطارات أدبية أفردت لها رسالة خاصة ، وقد أرسل إلى أسامة يعزيه بقومه الذين هلكوا بالزلزال في قصيدة مطلعها :

بابي شخصك الذي لا يغيب عن عيالي فهو البعيد القريب
ومنها : كره الشام أهله فهو محقو ق بان لا يقيم فيه لييب
ان تجلت عنه الحروب قليلاً خلفتها زلازل وخطوب
رقصت أرضه عشية غنى الرعد في الجو والكريم طروب
ولثنت حيطانه اذ أماتها شمال بزمها وجنوب
لا هبوب لنا ثم من أمانه وللعاصفات فيها هبوب
ومنها : لطف نفسي على ديار من السكان اقوت فليس فيها محبيب
فاحتسب ما اصاب قومك بمجد الدين واصبر فالخداث ضروب

وكتب أسامة إلى الصالح طلائع ابن رزيك هذا يسأله تسخير أهله إلى الشام وكان الصالح بن رزيك يتوقع رجوعه إلى مصر من حين لآخر ويسير له الرسائل طالباً عودته إلى مصر ، وأسامة لا يرغب بالعودة بعد حوادث ابن السلال والظافر العبدي .

اذكروم الود ان صدوا وان صدفوا ان الكرام اذا استعطفتم عطفوا
ولا ترد شافعاً الا هواك لم كفناك ما اختبروا منه وما كشفوا
يا جيرة القلب والفسطاط دارم لم تصقب الدار لكن أصقب الكاف
فارقتكم مكرهاً والقلب يخبرني ان ليس لي عوض منكم ولا خلف
ولو تعوضت بالدنيا غبت وهل بعوضني عن نفيس الجوهر الصدف
ولست انكر ما يأتي الزمان به كل الوري لزاياء درهم هدف
ولا أسفت لأمر فات مطلبه لكن لفرقة من فارقت به الاسف
المالك الصالح الهادي الذي شهدت بفضل ايامه الأنباء والصحف
ملك أقل عطاياء الغني فاذا أدناك منه فأدنى حظك الشرف
سعت إلى زهده الدنيا بزخرفها طوعاً وفيها على خطاياها صلف
مسهد وعيون الناس هاجمة على التهجيد والقرآن معتكف

وتشرق الشمس من لآلاء غرته في دسسته فتكاد الشمس تنكسف
فأجابه الصالح وكان يجيد النظم رحمه الله :
آدابك الغر بحر ما له طرف في كل جنس بدا من حسنه طرف
نقول لما اتانا ما بعث به هذا كتاب اتي ام روضة أنف
إذا ذكرناك مجد الدين عاودنا شوق تجدد منه الوجد والاسف
يا من جفانا ولو قد شاء كان الى جنابنا دون اهل الارض ينعطف
« كتبه وتأليف »

لأسامة كتاب الاعتبار ترجم الى اللغة الافرنسية وترجم اخيراً الى اللغة الانكليزية
وعنوانه المترجم بقوله « الرجل الكامل » وهو يشتمل على ترجمة نفسه ، وله كتاب العضا
وازهار الأنهار وكتاب البديع ^(١) واختصر سيرة عمر بن الخطاب تأليف ابن الجوزي
البغدادي وقد عثرت على هذا الكتاب ونسخته وبعث بالأصل مع مختصر الموافقة بين آل
البيت والصحابه للزخشرى الى العلامة المرحوم احمد تيمور ، وله التاريخ البدرى واخبار
البلدان وذبل على خريدة القصر للباخرزي . وكانت لديه مكتبة عامرة تشتمل على غرر
المخطوطات ونفاثها تبلغ اربعة آلاف مجلد .

« أخذ الامان لاهله من الفرنج في جلبهم من مصر »

استقدم عائلته واولاده من مصر في مركب بعد ان اخذ لهم الامان من الفرنج فما كان
منهم الا ان أخذوا من النساء ما معهم من الحلبي والجواهر والذهب والفضة بما يقدر بثلاثين
الف دينار ، يقول أسامة فهو علي سلامة اولادي واولاد أخي وحره : اذهب اذهب
من المال الا ما ذهب لي من الكتب فانها كانت اربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة
فان ذهابها حزا في قلبي ما عشت فهذه نكبات تزعم الجبال . ولا ريب هذه الكتب
التي فقدتها هي غير الكتب التي كانت لديه في شيزر ولدى والده .

» (١) قال في كشف الظنون كتاب البديع في علوم الشعر لأسامة بن منقذ اوله :
الحمد لله الحي القيوم « الخ ذكر فيه انه جمع ما تفرق سيفه كتب العلماء من نقد الشعر
وذكر بحاسنه وعيوبه وانه وقف عليه اه .

« نموذج من كتاب العصا »

اخترته لئلا من العلاقة بدمشق

يقول أسامة رحمه الله حضرت بدمشق وقد وقع بين العميان وبين رجل كان يتولى وقفهم يعرف بابن البعلبي خلف فلقوا فيه صاحب دمشق شهاب الدين محمود بن تاج المملوك يوري رحمه الله عدة مرار فقال للأمير مجاهد الدين تالله خلصني منهم واجمعهم واحضر نائبهم في الوقف وافصل حالهم فقال السهم والطاعة وقال لي مجاهد الدين بفضل واحضر معنا فاجتمعنا في ايوان كبير في دار وحضر النائب ابن البعلبي ونائب كان قبله يقال له ابن الفرائش وحضر العميان في نحو من ثلاثمائة رجل فحملوا قدامهم ودخلوا الايوان كل واحد وعصاه معه في يده وضما الى جنبه ، ثم تجاروا الحديث فكان بعضهم هواه مع النائب الاول ابن الفرائش وبعضهم هواه مع ابن البعلبي فنسازعوا وتخاصموا ساعة ولا يتدخل بينهم لعلوا أصواتهم وكثرتهم ثم قواثبوا فارفع في الايوان نحو من ثلاثمائة عصا في ايدي العميان لا يدرون من يضربون وعلا الضجيج والصياح حتى ندمت على حضوري فتلطفا في الامر حتى سكنت الفتنة بينهم ومشيا اسرهم على ما ارادوا وما صدقوا انهم ينصرفون .

« نموذج من شعره في العصا »

كتب في كتاب لي ولده الامير عضد الدين ابي الفوارس مرهف الى مصر يطلب منه عصا من آبنوس وكان مرهف مؤسراً في مصر من قبل صلاح الدين رحمه الله :

أريد عصا من آبنوس ثقلي فان الثمانين استعادت قوى رجلي
ولو بعصا موسى القيث لا دها على ما بهسا من قوة حملها ثقلي
ولكن تمنينا الرجاء ببساطل وكم قدر ما نرجي المنايا وكم تلي
اذا بلغ المرء الثمانين فالرد بناجيه بالترحال من جانب الرحل

« وله في شيوخه »

يشكو ضعف جسمه ويأسف على شبابه ويذكر من طول العمر والمدد :

مع الثمانين عاث الضعف في جلدي وساء في ضعف رجلي واضطراب يدي
اذا كتبت فخطي جد مضطرب كخط مرتعش الكفين مرتعد

وان مشيت وفي كفي العصا ثقلت رجلي كأنني أخوض الوحل سيفي الجلد
فأعجب لضعف بدني عن حملها فلماً من بعد حطم القنا سيفي لبسة الأسد
فقل لمن اتقى طول مدته هذي عواقب طول العمر والمدد
« هو والأسد »

حقاً ان أسامة لقد حطم القنا في لبة الاسد : بلغه ان هناك اسداً على شاطئ الفرات
يمنع الناس من المرور ولم يستطع احد ان يتعرض لقتله وانقاذ الناس من شره فما كان منه
الا ان هب ذات يوم متقلداً سيفه ورمحه دون ان يعلم أهله وذوي رحمه ومضى الى الفرات
حيث مقر الأسد وما هي الا بضع دقائق على مآزله اياه حتى حطم القنا في بته فخر
صريعاً للبيدين وللمن ثم جاء بآثاره الى شيزر فأكبر أهله عمله وكان يوماً مشهوداً .
« ضرائح العظماء تهمان »

هؤلاء آل منقذ باسادة وذاك طرف من أخبارهم وهذا أسامة بن منقذ القائد
العظيم والبطل المغوار الذي كان يد نور الدين العاملة في صد اغارات الفرنج وفي الفتوح
والذي كان يحطب وده الامراء والملوك قد الممت بشيء من ترجمته وأثبت على ننف من
شعره وذكرت انه بعد البحث والتنقيب في بطون التاريخ تحقق لدي انه دفن في سفح
فاسيون — من ترى وقف على ضريحه وعرف مقره ، لقد ذهبت غير مرة الى ذلك
السفح الذي ضم أعاضد الرجال ، وبحيث بين الضرائح فلم أقف له على أثر ولعلي جهلت
مقره فلم اهتم اليه ، ولكنني شاهدت أصحاب البنيان قد امتدوا الى الضرائح فتناولوها
وقوضوا دعائمها وبغثروا رفاتهما وطمسوا اعلامها وشوهوا محاسنها وداوسوا حرمتها ولا من
ينهى أصحاب هذا البنيان عن عملهم او يفكر في نقل رفات العظماء الذين يجب ان تبقى
ضرائحهم ماثلة لبراها ابناؤنا واحفادنا واحفاد حفادنا فيتحذروها قدوة صالحة لم تبعث من
العلم وتحض على العمل ، ولسان حالها ينطق انهجوا مناهجنا واسلكوا سبيلنا وافتنوا آثارنا
فلا حياة لكم ولا صلاح الا بما صلح به اولكم ، أليس من العار ان نهيئ عظماءنا ولا نفكر
في حفظ ضرائحهم وصونهم من إغارة المغيرين الجشعين النهمين الذين لا تأخذهم رافة
على الأمة في محو آثارها ومزاحمة ضرائح أعلامها ؟
أتضيع دمشق ضريح ابن منقذ مع الضرائح الضائعة من ضرائح العظماء والعلماء وهي

مهد العروبة وعنها يؤخذ الشتم واليهما ينتمي الآباء ؟
 فإلى تجديد ضرائح العظماء أيها السادة الى الاحتفاظ بها فهي الواعظ الأقوى للابناء
 والمرشد الأمين للأحفاد بدفع بهم الى الامام ، وكأني بأبي العلاء فيلسوف العرب قد
 أدرك منذ ذلك الحين ان الناس يهينون العظماء ولا يعنون بضرائحهم فأهابت به نفسه
 للذود عنها والدعوة الى احترامها والنصح في الابقاء عليها وعدم الإجهاز على اصحابها فطفق
 ينشد وما أجمل هذا الانشاد :

صاح هذي قبورنا تملأ الرح - بَ فأين القبور من عهد عاد
 خفف الوطناً ما أظن أديم الأرض الا من هذه الاجساد
 سر ان استطعت في الهواء رويداً لا اختيالاً علي رفات العباد
 فقيح بنسا وان قدم المم - دُ هو ان الآباء والأجداد
 « عودة للبحث عن ضريح ابن منقذ »

أليس من العار ان لانعرف مقر ابن منقذ وهو الذي ذكرت مزوفاته وعلمه ونبله ؟
 هذا نابليون رجل فرنسا وعبر بها الفد بعد وفاته في جزيرة القديسة هيلانة
 واستحالته الى رفات بالية وعظام نخرة هب الفرنسيون من باريز فاستخرجوه من ضريحه
 ورجعوا به الى قلب بلادهم بعيدون به ذكر نابليون وبشون في أممهم ما كان لهم من العظمة
 والآباء والمجد والفخر .

الضرائح في الاسلام لها حرمتها ولها مكانتها فكيف بضريح علم من الاعلام وقائد
 من اكبر القواد كإبن منقذ وأضرابه من عظماء الامة وقادة الرأي المفكرين .
 هذا رائي لأرجو من المجمع العلمي متطفلاً على مائدته ان يؤلف لجنة في البحث عن
 ضريح ابن منقذ ومن على شاكلته من الأبطال الذين خدموا الامة وزادوا عن حياضها
 ونفعوا بعلمهم ودرابهم راجياً ان يحل اقتراحه لديه محل القبول .

طاهر النعساني

آراء وافكار

في عدد كانون الثاني - شباط سنة ١٩٣٠ من المجلة مقال موسوم بـ «قوة الحافظة وكثرة المحفوظات» بقلم الشيخ كامل الغزي أورد فيه الكاتب (ص ١٢٠ - ٢١) حكاية عن لسان الامير أسامة بن منقذ، يؤخذ منها ان أسامة اجتمع بابي العلاء المعري وهو صبي في انطاكية واستن قوة ذاكرته وأعجب بها . ولكن أسامة ولد عام ٤٨٨ هـ (١٠٩٥ م) وابا العلاء توفي عام ٤٤٩ (١٠٥٨) فبينهما قرن كامل والواحد منهما لم يعاصر الآخر . ولا أثر لهذه القصة في مذكرات أسامة المعنونة بـ «كتاب الاعتبار» . فمن اين نرى أتي بها الشيخ الغزي ؟ .

جامعة برنستون :
فيليب حتي
عضو المجمع العلمي العربي

من نوادر المخطوطات
« في دار الكتب الظاهرية »

٢ -

كتاب ادب السلوك . - لابي الفضل عبد المنعم بن عمر بن عبد الله الاندلسي المتوفى سنة ٦٠٣ هـ المشتمل - كما جاء في مقدمته - على مشاريع كتابات الحكمة والادب والاخلاق وهو يقع في ٢١٦ صفحة صغيرة يرجع تاريخ كتابته الى القرن الثامن الهجري .

قاموس الاطباء وتاموس الالباء . - لمدين بن عبد الرحيم القوسي المصري من اطباء القرن الحادي عشر الهجري وهو في المفردات الطبية في ٣٥٨ صفحة كبيرة . (رقم ١٠٨ : الطب) .

مالا يسم الطيب جهله . - ليوسف بن اسماعيل المعروف بابن الكبير من اطباء

القرن الثامن وهو في مجلد ضخم يقع في ٨٠٠ صفحة كبيرة كتب سنة ١١٣٣ هـ (رقم ١٠٣ الطب).

منهاج البيان فيما يستعمله الانسان — لابي العبار يحيى بن عيسى الكاتب الملقب بالرئيس الأجل المتوفى سنة ٤٩٣ هـ ضمنه ذكر جميع الادوية والاشربة والاغذية وكل مركب بسيط ومفرد ورتب على حروف المعجم وهو في جزئين في مجلد واحد ينقص الجزء الاول منه ورقة واحدة وكان الفراغ من نسخه سنة ٩٦٢ (رقم ١٠٧ : الطب).

خلاصة تحقيق الظنون في الشرح والمتون — تأليف كمال الدين محمد بن مصطفى الصديقي وهو ذيل لكشف الظنون وقد ضم مؤلفه ما زيد على كتب العلم من الكتب وما لم يطلع عليه صاحب كشف الظنون (فتون مثنوية رقم ٤٣).

شذرات الذهب في اخبار من ذهب — تأليف عبد الحلي بن احمد المعروف بابن العماد الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ وهو في ١٠٩١ صفحة كبيرة بخط شعبان الخزرجي سنة ١٠٨٥ (رقم ٣٨٧ : التاريخ).

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة — تأليف ابي الفضل احمد بن علي بن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٣ هـ وهو في مجلد كبير عدد صفحاته ٥٤٧ وفيه خط ابراهيم البقاعي (رقم ٣٨٨ : التاريخ).

طبقات النخاة واللغوين — تأليف ابي بكر احمد بن محمد بن عمر نقي الدين بن قاضي شهبة الاسدي الدمشقي المتوفى سنة ٨٥١ ويليها مختصر طبقات النخاة للزبيدي اختيار المحلي وهو في ٦٤٠ صفحة صغيرة كتب سنة ٩٥٠ (رقم ٤٣٨ : التاريخ).

حسني الكسم



مطبوعات حديثة

فاوست

— ترجمها —

« الاستاذ محمد عوض محمد »

القصة وضعها شاعر المانية « غوته » —

خلاصتها على وجه التقريب ان الدكتور « فاوست » خلا بنفسه ساعة ، قرأى انه قد جهد في كل شيء ، جهد في طلب الفلسفة والشريعة والطب وعلوم الدين وهو بعد هذا كله لم يخط الى المعرفة خطوة واحدة . —

وانه لفي هذه الوسواس وأمثاله اذ دخل ابليس عليه غرفته فتساقطا أطرافاً من الأحداث ثم تعاقدوا على ان يكون ابليس عبداً للدكتور « فاوست » في هذه الدنيا وعلى ان يكون الدكتور « فاوست » عبداً لابليس في اليوم الآخر . —

وجزاء هذا التعاقد ان الدكتور « فاوست » سيربه ابليس في هذه الحياة ما لم تره العيون وما لم يخطر على بال . —

وعلى هذه الصورة نعم الدكتور « فاوست » بجوانه وغرق في اللذات على اختلاف أنواعها ، وأفضت به لذاته الى الاستيلاء على قلب فتاة بلغ من حبها اياه ان قتل أمها وابنها ، وأن كانت سبباً في قتل اخيها في سبيل حبيبها « فاوست » ثم سحبت . —

نعم : هذه خلاصة القصة ، ولكن الحكمة لا تجدها في القصة نفسها ، وانما تجدها في تضاعيف القصة ، انك لتجد في تحاور ابليس والله ، وفي تحاور « فاوست » والروح ، وفي تحاور « فاوست » وتليذه ، وفي تحاور « فاوست » وابليس شيئاً من روح الفلسفة ، وهذا الشيء انما هو الاستهزاء بالقوانين والشرائع والفقه والدين والمذاهب كلها ، وبالنساء والكنايس ، فاذا أعجبتك قصة « فاوست » فانها تعجيك من ناحية أساليب التهكم ، على انك تجد بين تهكم الالمان وبين تهكم الفرنسيين من الفرق مثل ما تجده من الفرق بين طبائع الأمتين . —